دُروسٌ مِنْ هَدْيِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

سِلْسِلَةُ دُرُوسِ رَمَضَانَ

(ٱلدَّرْسُ ٱلسَّابِعُ)

سُورَةُ البَقَرَةِ

مِنَ الآيَةِ ﴿١١٥﴾ إِلَى الآيَةِ ﴿١٤٥﴾

أَلْقَاهَا ٱلسَّيِّدُ/ حُسَيْنُ بَدْرِ ٱلدِّينِ ٱلْحُوثِي

بِتَارِيخ: ٧ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ

المُوَافِق: ١/١١/٢٠٠٣ م

ٱلْيَمَنُ - صَعْدَةُ

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

إعداد/ يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا، وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

في هذه الآيات نرى مجموعة من المواضيع الهامة، سواءً مما حكاه الله عن بني إسرائيل، أو ما أثنى به على نفسه سبحانه وتعالى، كذلك ما حكاه عن آخرين وتُعتبَر طلبات لا قيمة لها، وعن مهمة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كبشير ونذير، وعن موقف اليهود والنصارى بالنسبة للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في المقدمة، وبالنسبة للمسلمين بشكل عام، وكيف ينبغي أن يكون الذين يؤتيهم الله كتابه، ثم تذكير متجدد أيضاً لبني إسرائيل، ثم كلام عن إبراهيم (عليه السلام) في موضع مهم جداً، وعن الابتلاءات التي مر بها، وتأهيله للمقام الرفيع، وللنهوض بالمسؤولية التي حمَّله الله سبحانه وتعالى إياها، كلام عن الكعبة المشرفة (البيت الحرام) توضيح لنفسية إبراهيم، واهتماماته ومشاعره، ثم اتجه إلى الحديث عن بني إسرائيل، ثم التوجيه بطيّ صفحة الماضي بالنسبة لبني إسرائيل: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(البقرة:١٣٤).

ادعاءات جديدة لبني إسرائيل: ﴿**كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾(البقرة:١٣٥) وكيف هو الجواب المناسب أمام هذه المقولة أو ما يشابهها، حديث عن تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، وقيمة هذا التحويل، إعطاء رؤية بالنسبة لأهل الكتاب وكأنهم قد وصلوا - وقد يكون هذا للتغليب، أي: معظمهم - إلى حالة قد يكونون معها بعيدين جداً على ما هم عليه أن يقبلوا أيَّ آية يأتي بها رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) توجيه للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ألاّ يصغي إليهم في أي مطلب يكون في الأخير متبعاً لأهواء مقابل الدِّين.

من خلال هذه الآيات مواضيع هامة جداً ومتعددة، ويجب أن ننظر إليها عندما تكون متعددة - كما قلنا بالأمس - حتى تعرف انسجام المواضيع مع بعضها بعض، وتعرف السياق المترابط، وأن تنظر إلى القضية من أصلها وفي الدائرة التي يدور حولها هذا الكلام المتعدد المواضيع.

تجد من عظمة القرآن الكريم والقضية العجيبة فيه - رغم أنه مجلد واحد، كتاب واحد - يغطي الحياة، كتاب هو للسموات والأرض، وللدنيا والآخرة، والصفحة الواحدة فيه كم تجد فيها من علوم؛ ولهذا فالإمام علي (عليه السلام) يتحدث عن انبهاره هو بالقرآن فيذكر بأنه (بحرٌ لا يُدرَك قعرُه، وعيون لا يُنضِبُها الماتِحون، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلَق على كثرة الترداد).

لا تجد هذه في أيِّ كتابات أخرى لأيِّ إنسان مهما كان، مهما كانت قدراته البلاغية، ومهما كانت سعة تجاربه في الحياة أن يصل إلى ما يداني هذا المستوى، قد يكون كمثل أعلى - بالنسبة للبشر - الإمام علي (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عندما تأتي إلى فقرات من كلامه تجد فيها فعلاً من هذا الزخم في المعلومات؛ لكن ذلك إنما هو أثر للقرآن الكريم، أثر من آثار القرآن الكريم في نفسية الإمام علي، في شخصيته، أثر من آثار الاهتداء به في مظاهر الحياة، وقد تجد تلك الحالة التي كان يتمتع بها الإمام علي، والصفة الهامة مفقودة عند الكثير منا على الرغم من توفر الكتابات، لا أعتقد أن الإمام علياً كان لديه مكتبة، ولا دولاب واحد يكون فيه مجموعة كتب، وتجده شخصاً لديه معلومات واسعة جداً، ولديه رؤية تقييمية للحياة وللناس بشكل عجيب.

هذه الحالة مفقودة لدينا ونحن من لدينا مكتبات: علوم في السياسة، والاجتماع، والاقتصاد، والفقه، والحديث، والأصول، والتفسير...إلخ، وكم؟! صفر، لا نملك شيئاً، حقيقة لا نملك شيئاً، ليس لدينا ما يصح أن يقال له شيء بالنسبة لِمَا ينبغي أن يكون الناس عليه؛ ولهذا كانت خسارة كبيرة جداً جاءت هذه الآية تنص عليها عندما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾(البقرة:١٢١) هذه العبارة: ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾.

المشكلة مثلما - نحن نقول دائماً - تغيير معاني المفردات القرآنية، أو المصطلحات القرآنية تغيرت معانيها، وأصبحت لدينا معانٍ أخرى مثل كلمة (يكفر) و(كافرين) ترسَّخت لدينا بمعنى: الجاحدين بالله، الجاحدين بالله دائماً، كلما رأى كلمة (كافرين) أي: جاحدين بالله!.

الكفر دائرة واسعة، ودرجات متفاوتة، وأكثر ما يعنيه في مقامات كثيرة: (الرفض) الرفض الصريح، أو الرفض الواقعي الذي يمكن أن يترافق مع مقولات إيمانية: (نحن نؤمن بأن هذا القرآن عظيم وهدى للعالمين)

أليست هذه قضية لا يشك فيها إنسان مسلم؟ لكن واقعاً – بسبب أشياء كثيرة – أصبحنا وكأننا كافرون به: رافضون له؛ لهذا كانت خسارة كبيرة جداً على الأمة.

قلنا بالأمس حول آيتين فقط تحدثتا عن أهل الكتاب أنهما كانتا كفيلتين – لو كان هناك اهتمام بالقرآن، ورؤية قرآنية، وتأثر بالقرآن، ونظرة قرآنية صحيحة لكانت تلك الآيتان وحدهما، بمفردهما – كفيلتين ببناء الأمة، وكفيلتين بأن تكون هذه الأمة أرقى مما وصل إليه الآخرون: عندما حكى الله عن بني إسرائيل بأنهم ما يودون لنا أيَّ خير[1] وعندما قال عنهم في آية أخرى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾(البقرة:١٠٩) لأنه هنا شخّص لك أمة من الأمم، توجهها إلى هذه الأمة الأخرى (الأمة المسلمة) كانت هاتان الآيتان تكفيان في الماضي – كما قلنا بالأمس – أن تجعلا من يفهمون القرآن الكريم، من يعرفون هدى القرآن الكريم كفيلتان ببناء هذه الأمة بحيث لا تصل إلى ما وصلت إليه الآن من هذه الحالة السيئة، الخسارة الكبيرة، خسارة كبيرة فعلاً.

ومن هذا نعرف أيضاً شمولية القرآن الكريم عندما يقول الله فيه: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(النحل:٨٩) وأنه تبيان لكل شيء ليس معناه أن يذكر لك تفاصيل المسألة الفلانية، أي: علم من العلوم مثلاً: قوانين في الفيزياء، أو أشياء مُعيَّنة مثل: الهندسة، أو أيِّ شيء من هذه الأشياء يأتي بها هي ويذكرها، ويعمل لك قائمة للمعادن وخواصها، وأشياء من هذه، لا، هو يعطي الناس توجُّهاً مُعيَّناً، هذا التوجُّه هو كفيل بالوصول إلى هذه الأشياء.

كانت هاتان الآيتان كفيلتين لو أن أحداً من أسلافنا ممن كانوا في وضعية أحسن مما نحن فيه، باعتبار الضغط العالمي لم يكن يوجَد بهذا الشكل الذي نحن نعاني منه من قبل الأعداء، كان هذا التشخيص لأهل الكتاب يكفي بأن يتجهوا لبناء أنفسهم، من بديهيات هذا التوجه: أن يحاولوا أن يهتموا بالجانب العلمي باعتباره قضية من القضايا الهامة في بناء الأمة، فحينها سيصلون إلى علوم كثيرة في مختلف الأشياء التي وصل إليها أخيراً بنو إسرائيل، أو أهل الكتاب بشكل عام من اليهود والنصارى.

عندما يقول البعض عن القرآن الكريم: (القرآن كتاب باهر، وسلام الله عليه، يقعد مكانه، لكن نحن نريد علوماً أخرى)! هذا هو مفتاح العلوم بكلها؛ لأنه في نفس الوقت هو الذي يعطي التوجهات والمسؤوليات التي هي كفيلة بأن توسِّع نظرتك لكل ما حولك، وتعمل على تطوير قدرات هذه الأمة، أعطى مؤشرات أيضاً فيما يتعلق بكل ما هو محيط بالناس مما في السموات وما في الأرض، أنه مسخّر لك: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾(الجاثية:١٣) ومعنى التسخير العبارة هي توحي بأن هذه الأشياء قابلة لأن نستخدمها، وعندما تنظر إليها على سعتها الكبيرة جداً عندما يقول: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ أليست قائمة طويلة عريضة جداً من الأصناف والأنواع المتعددة من المخلوقات بدءاً من الكواكب، والشمس، والقمر، والهواء، ومختلف المعادن، والنباتات، وكل العناصر الموجودة في هذا العالم، كل مفردات ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ أنها مسخرة؟

هذه تعني: أن حياة الإنسان مرتبطة بهذه الأشياء، وأن هذه الأشياء قابلة؛ لأنه ذكر مثلاً فيما يتعلق بحيوانات مُعيَّنة: أنه ذللها وسخرها، كيف تجدها قابلة لك أن تستخدمها للأغراض المتعددة كالإبل، والبقر، والخيل، والبغال، والحمير، ومختلف الحيوانات المذللة، وتجدها قابلة لمختلف الأغراض، وبيَّن في آيات أخرى كيف تكون الأشياء المسخرة قابلة للاستخدام المتعدد ذكر: تركبون، وتأكلون، وتستخدمون من جلودها بيوتاً، ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا﴾ لكم ﴿وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾(النحل:٨٠) فعندما يقول: إنه سخر لنا ما في السموات وما في الأرض بعدما أعطى توجُّهاً من هذا النوع الذي يجعل الإنسان يتوجه فيرى نفسه في سبيل بناء الأمة بحاجة إلى كل ما لديه من أشياء، أن هذه تعطي أملاً كبيراً جداً: أن بالإمكان تطويع الأشياء الكثيرة للأغراض المتعددة. هذه اكتُشفت أخيراً، ألم يستطيعوا أن يحولوا أشعة الشمس إلى طاقة كهربائية؟ واحدة من الاستخدامات التي برزت: أن يحولوا أشعة الشمس عبر وسائل مُعيَّنة إلى طاقة كهربائية، بل تتحول هذه إلى وقود هام للمَرْكبات الفضائية، ولكثير من هذه الأقمار الصناعية التي تحتاج إلى الوقود، صفائح مُعيَّنة تحوِّل أشعة الشمس إلى كهرباء، إلى وقود تشتغل عليه هذه المركبات والأقمار.

إذاً أليس هذا من التسخير؟ الشمس التي بيننا وبينها – كما يقولون – ملايين الأميال أو عشرات الملايين من الأميال تجدها قابلة لأن تسخرها لأشياء متعددة الأغراض، وأن يكون لها دور في استخدام أشعتها في مجالات

---

(١) ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِنْ خَيْرٍ مِن رَبِّكُمْ﴾(البقرة:١٠٥).

ليس بإمكانك أن تستخدم أشياء أخرى بديلة عنها، من الذي يستطيع أن يوفر - مثلاً - طاقة مُعيَّنة للمَرْكبات الفضائية التي تأخذ فترة طويلة؟ أين يمكن تعبئتها (بترول) أو أشياء أخرى؟ لكن الشمس طاقة مستمرة يومياً أمكن أن تحوَّل بهذا الشكل فأغنت عن طاقات أخرى، لا يمكن لو أن المسألة مرتبطة بطاقات هنا في الأرض بترول أو الطاقات التي يسمونها طاقة نووية (وقود نووي) أو نحوه لكانت المسألة صعبة، أي: لكان هذا يشكّل عائقاً دون إمكانية مَرْكبات فضائية وأقمار صناعية ونحوها، متى يمكن أن تذهب لتجدد لها هذا الوقود؟ لهذا كانت الطاقة الشمسية واحدة من استخداماتها، استخدمت في مجالات هامة جداً في إعطاء معلومات وفي إمكانية التواصل فيما بين الناس عبر وسائل الاتصالات، والبث الإذاعي والتلفزيوني وغيره.

إذاً هو كتاب علمي على أرقى مستوى لكن لمن يفهم ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(البقرة:١٢١) فعلاً، هذا الذي حصل بالنسبة لهذه الأمة، كان واقعهم نظرة انحطت جداً بالنسبة للقرآن الكريم إلى الآن قد تلمسها مثلما نقول أكثر من مرة إن هناك من يقول: (هذا فقط؟!) فيرى أن القرآن غير كافٍ إذا قلنا: يكفي هذا، العلوم الأخرى لا يوجد حاجة لها، هي شكّلت عوائق بيننا وبين القرآن الكريم، هي جعلت أعمارنا مُعرَّضة للضياع، وأجيالنا مُعرَّضة للضياع، المواهب المتعددة مُعرَّضة للضياع، الأمة بشكل عام مُعرَّضة للضياع. علينا أن نهتم بالقرآن هو الذي يعطي الناس المعارف الواسعة جداً، ويفتح لهم أبواب المعرفة، ويعطيهم التوجهات، والمسؤوليات التي هي كفيلة بأن يتوسَّعوا في معارفهم.

بالأمس من الآيات الأخيرة في الموضوع: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُه﴾(البقرة:١١٤) جاء بعدها ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:١١٥) ليفهم الإنسان المؤمن بأنه ليس هناك فقط وجهة مُعيَّنة فإذا توجه إليها بالدعاء يمكن أن يسمعه الباري ويستجيب له لكن إذا توجه كذا أو كذا يمكن ألاّ يسمعه! ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ قد يُؤخذ منها إذا وصلت الحالة بأن مساجد مُعيَّنة لم يعد بالإمكان أن تتحول إلى مساجد لله، فالأرض قد جعلها الله مسجداً كما في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ((جُعِلَت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً)).

إذاً ليس معناه أنهم أغلقوا عليك باباً وحيداً إلى الله، مكاناً وحيداً فيما بينك وبين الله ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ إن استطعتَ أن تبني مسجداً بنيت مسجداً لله ما لم ففي أيِّ مكان، كلها مساجد لله، هذه مهمة جداً من الناحية العملية في مقام الأولويات؛ لأن مما يهدي إليه القرآن الكريم موضوع الأولويات في أعمال الناس (هذا الموضوع أهم من هذا) وتختلف الأولويات باختلاف الأزمنة، باختلاف نوعية الصراع الذي الناس فيه، باختلاف وضعية الجيل الذي أنت تعيش فيه، فإذا كانت القضية تتطلب أن يبذل الكل جهوداً كبيرة في مقام نصر الله في مجال مواجهة أعداء الله الذين لديهم وسائل متعددة، إذاً لا يوجد هنا أولوية لبناء مسجد، قد يكون بناء المسجد يؤدي مثلاً إلى بذل أموال طائلة جداً، ليست الصلاة في أن تكون مقبولة مرتبطة بالمسجد، بل قد يكون مصلون في المسجد لا تُقبَل صلاتهم ولو كانوا في المسجد الحرام، الذي يصلي في الصحراء وبتوجه صحيح في عمل في سبيل الله تكون صلاته مقبولة.

وهذه القضية ملموسة كثير من الناس يأتي إليهم أموال من تجار، من فاعلي خير ولا يدري ماذا يعملها فيه ولا يدري في أيِّ شيء يضعها فيه وكأن الأمة ليست بحاجة إلى أن تعمل أيَّ شيء ولا كأن هناك مجالات مفتوحة من مجالات العمل في سبيل الله، وفي الأخير يبني بها مسجداً! أحياناً يكلف حزام المسجد وحده مائتي ألف ريال أو أكثر، تلك الزخرفة، ما بالك بخسارة بنائه، ما بالك بالمنارة، ما بالك بدورات المياه والأشياء الكثيرة تكون التكلفة في الأخير خمسة ملايين أو عشرة ملايين بل وأحياناً قد تَصِلُ إلى سبعين مليوناً أو أكثر في بعض الأماكن.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ اهتم بالقضايا الأولية الأساسية إذا كان هناك مسجد فصلِّ فيه، وإذا لم يكن هناك مسجد فصلِّ في أيِّ مكان، ووجِّه عملك، ووجِّه قدراتك في المجال الهام. بناءُ المسجد يمكن أن تقوم به متى ما أمكن؛ لأن التوجه لله ليس منحصراً في المسجد، وليس قبول الصلاة منحصراً في المسجد حتى نقول: (إذاً نبدأ أول شيء نبني مسجداً لكي يمكننا أن نصلي، نبدأ نبني مسجداً لكي يمكننا أن نتوجه إلى الله، نبدأ نبني مسجداً لكي يمكننا مِن داخله أن ندعو الله؛ لأنه من خارج المسجد لا يمكن أن يسمع، أو لا يدري أين نحن)! المساجد ليست عبارة عن كاميرات تصوير والباري لا يرى إلاّ من كان داخل المسجد ولا يسمع إلاّ من كان داخل المسجد.

المساجد هامة، هي هامة والصلاة فيها هامة لكن في مقام الأولويات ووفق سُلّم الأولويات، قد يكون هناك في مرحلة مُعيَّنة ما هو أهم منها، فالحاصل يكفي، تجد كم هي المساجد التي يقوم المسلمون ببنائها في المدينة الواحدة حتى أصبحت في الأخير وسيلة تفرقة! مع أن من الأدوار الهامة للمساجد هي: أن تكون مكان التقاء للناس لأهل القرية الواحدة لأهل المدينة الواحدة، تكون محط التقاء واجتماع تساعد على موضوع التعارف والتآلف وتبادل المعلومات فيما بينهم، والتذكير لبعضهم بعض، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، لَمَّا اختلفت الرؤية كل واحد غضب بنى له مسجداً، والآخر قال: (ضجّة) بنى له مسجداً، الثاني قال: يريد عند بيته لأجل يكون عند بيته مسجد نعمة عندما يكون قريباً، بنى مسجداً، لا تدري وإذا المدينة الواحدة فيها عشرات المساجد، وهي بالشكل الذي يكفيها مسجد واحد فقط.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أينما تُوَلُّوا بوجوهكم بدعائكم بضمائركم بمشاعركم بوجدانكم ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ رأينا أحد المساجد في صنعاء بناه أحد التجار أصحاب الخير، المنارة التابعة له (الصومعة) كلفت سبعة ملايين ريال! لا أدري كم يمكن أن يكلف المسجد! المنارة وحدها سبعة ملايين ريال هذه السبعة الملايين تعمل عملاً كبيراً جداً في هذا المجال: في مجال توجيه الناس نحو دين الله، نحو القرآن الكريم، وتثقيفهم بالقرآن، والعمل في مواجهة العدو، وإعداد كثير من وسائل القوة في مواجهة العدو، نحن نرى مبالغ زهيدة جداً تأتي في هذا المجال الذي نعمل فيه وتعمل أعمالاً كبيرة جداً، مبالغ بسيطة، كيف بالسبعة الملايين، تلك المنارة ماذا ستعمل؟ المنارة ممكن أن يدخل منها الأمريكي ويستخدمها القنّاصة الأمريكيون لضرب المسلمين هنا وهنا.

لكن عندما تبني إنساناً على أساس القرآن أليس هو الذي سيقنص الأمريكي؟ هل بإمكان المنارة في يوم من الأيام أن تصبح صاروخاً وتنطلق وتدمر مدينة من مدن الكفر؟ لا، منارة مفتوحة ممكن أن يصعد فيها اليهودي والأمريكي؛ لأنك لم تبنِ إنساناً، لم تبنِ منارات، المنارة الحقيقية هو الإنسان الذي تبنيه على أساس القرآن ويبتني ويبني نفسه بهدى الله وتوفيقه على أساس القرآن.

لهذا عندما توجَّه رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إلى المدينة، وبنى المسجد هناك، لم يحاول أن يكون المسجد الذي يبنيه على أرقى مستوى فيما يتعلق بالفن المعماري، فيما يتعلق بالزخرفة مع أن الفن المعماري كان معروفاً من زمان، وليس قضية وكأنه لم يبتكرها إلاّ المتأخرون، آثار اليونانيين تشهد على موضوع ما وصلوا إليه في الفنون المعمارية، دولة فارس، والروم، كانت قضية الفن المعماري معروفة حتى عند اليمنيين سابقاً، انظر آثار عرش بلقيس، تلك الأعمدة كيف هي بشكل دقيق، ومزخرفة، الزخرفة التي فيها منحوتة نحتاً.

بنى المسجد من (لِبْن) وسَقَفَه بخشب النخل وأعمدة من النخل وسَعَف النخل، وأصبح لهذا المسجد فاعلية هامة؛ هنا يوجد أهمية فيما يتعلق ببناء مسجد في المدينة من أول مرحلة، يُبيِّن أهمية المسجد كمُنطلَق، وأن المسجد الهام هو الذي يكون له فاعلية، ومنه انطلاقة عملية؛ ترك المسجد الحرام هذا المسجد الهام جداً عندما لم يتمكن أن يجعل لهذا المسجد دوره، ويجعله على أصله لله في أجوائه، في العبادات فيه؛ خرج من هذا المسجد العظيم، وتوجَّه هناك وبنى مسجداً، وأصبح لهذا المسجد أيضاً فضل عظيم، وإن كان دون قيمة المسجد الحرام في الوضعية الصحيحة، أصبح له فضل عظيم، ذلك المسجد الذي بُني من اللَّبْن وجريد النخل لا يوجد فيه زخرفة، ولا يوجد فيه شيء.

هذا المسجد نفسه الآن قد أصبح واسع البناء، ومزخرف، وله منارات، ومُنار بالكهرباء، وفيه أجهزة صوتية ضخمة جداً، ومفروش بفراش راقٍ جداً، وأشياء كثيرة، كيف دوره الآن؟ لا شيء! المسجد الحرام كيف دوره الآن؟ لا شيء! إذاً فالإنسان نفسه، عندما يبنى الإنسان نفسه هو الذي يجعل لهذه الأشياء حيويتها، ويجعل لهذا المسجد قيمته، أو هو الذي قد يميت المسجد وإن كان المسجد الحرام نفسه. فالمسجد الذي بناه رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عندما كان الذي بناه والذي يتحرك فيه ومنه هو إنسان عظيم اهتدى بالقرآن الكريم، وهداه الله سبحانه وتعالى كان لذلك المسجد أثر كبير على مستوى الرسالة أينما وصلت الرسالة كانت انطلاقتها الأولى هي المسجد الذي بناه رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قد لا تساوي تكاليف ذلك المسجد مقارنة بالتكاليف التي عليها المسجد الآن مسجد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قد لا تساوي تكلفة عمود واحد من الأعمدة التي داخله!

إذاً ففي موضوع الأولويات قد يكون الشيء هاماً في مرحلة، وفي مرحلة أخرى يجب أن تبدأ بشيء آخر، هذا الشيء الهام إذا كان في مرحلة لم يعد يعطي أهمية، ولم تتمكن أنت أن تعطيه أهميته وحيويته فانطلق إلى غيره، اعمل غيره، إذا كنت متمكناً أن تعمل غيره ما لم فـ(الأرض مسجدٌ وطهورٌ) كلها مسجد من المحيط إلى المحيط، أليس أكبر مسجد؟ أكبر مسجد الله قد بناه من قبل، أكبر مسجد وهو هذه الأرض.

اتجه الحديث إلى بني إسرائيل ليُبيِّن أيضاً ما وصلوا إليه فيما يتعلق بالمعتقدات والمقولات والرؤى، رؤى كفرية: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾(البقرة:١١٦) على الرغم من النبوَّات والكتب والهدى وورثة الكتب داخلهم وورثة الأنبياء والهدى العظيم، لَمّا تركوه ونبذوه وراء ظهورهم ظهرت أشياء من هذه المقولات الباطلة: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ جعلوا المسيح ابناً لله، ثم ترقّوا في المسألة إلى أن جعلوه جزءاً من الإله! ما قيمة أن يجعلوا لله ولداً؟ وما هي الحاجة التي تقتضي أن يكون لله ولد؟ لا يوجد، أنت تفرح إذا معك ولد يقوم بأعمال لك ومهام وأشياء من هذه، الله سبحانه وتعالى ليس بهذا الشكل، بل ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ليس هناك حاجة لاتخاذ ولد، ولا يجوز عليه سبحانه وتعالى هو كما قال عن نفسه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾(الإخلاص:٣) ولا بحاجة إلى أولاد ليشدوا من أزره، مع أحدنا أولاد إذا أحد يريد أن يعتدي عليه يكون معه مجموعة أولاد يقومون بالدفاع عنه، لا، كل ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ خاضعون، الخضوع التكويني الخضوع فيما يتعلق بتدبير الله، ليس هناك أحد يستطيع أن يخرج عن قدرة الله، عن إرادة الله، أبداً، أو يستطيع أن يتغلب، الكل بما هم عليه خاضعون لله، الإنس والجن، وكل ما في السموات وما في الأرض خاضعون له.

هذه من الأشياء الغريبة جداً، كتب الله، ورسل الله الذين هم دعاة إلى توحيد الله، وتعظيم الله وإجلاله وتقديسه وتنزيهه لا تدري إلاّ ومَن يدَّعون بأنهم أتباع لتلك الكتب وأولئك الرسل وإذا قد أصبح لديهم عقائد كفرية صريحة، شرك، وكفر صريح! ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ هل تلك النبوة وتلك الرسالة هي بالشكل الذي يمكن أن يصل بالإنسان إلى مقولات كهذه؟ أبداً، تجد كيف يَصل الإنسان عندما يُعرِض عن هدي الله إلى أن تظهر عنده أشياء هي سيئة جداً، ولو تأمَل أدنى تأمُّل لرأى بأنها باطلة لا شك في بطلانها.

هذا مثل من أمثلة الضلال الشديد الذي يصل إليه الإنسان في مختلف المجالات بما فيها المجالات العقائدية المتعلقة بتوحيد الله سبحانه وتعالى! هل هناك حاجة لولد أن يكون مثلاً بشكل (سكرتير) أو يستلم الرسائل من عنده ويوصلها؟! ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:١١٥) لا يحتاج إلى أن يقول: إذا معك رسالة فسلّمها إلى ولدي، أو يقول لابنه: يستمع إلى ما يقول الناس ويسجِّل دعواتهم، وأشياء من هذه، هذه كلها لا يوجد حاجة على الإطلاق، قبل أن تقول: لا يجوز، هي قضية لا تصح، ولا يجوز، في نفس الوقت ليس هناك حاجة على الإطلاق إلى هذه هو سبحانه وتعالى كما قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ كما يقول: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(البقرة:١١٦، ١١٧) هو مبدعهما.

هذا فيه رد على النصارى أنفسهم من جهة ما هي الحاجة التي يمكن أن تجعل الله يتخذ ولداً؟ هو هذا الذي ابتدع السموات والأرض قبل أن تجعلوا له ولداً، لو كان هناك حاجة إلى ولد لأوجده من قبل كي يعينه في موضوع إنشاء السموات والأرض، هذا البنيان الهائل الكبير الواسع ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾(غافر:٥٧) هو مبتدعهما. لأنها قضية معلومة: أن النصارى ادَّعوا هذه من بعد المسيح، يقولون: ربما بمائتي سنة تقريباً بدأت مسألة وأطروحة (ابن الله) وأنه ولد لله. هو سبحانه وتعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ هو الذي ابتدعهما، أي: أنشأهما، فطرهما، وليس فقط أنه كان هناك آثار مَبْنى ثم جاء يصلحه، أو أخذ خريطة من طرف مُعيَّن وقام ينشئ على أساسها! ابتدعهما، هو شَيّأ الأشياء هو، هو سن القوانين هو، هذا معنى الابتداع. ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أبدعهما، وجعلهما خلقاً بديعاً ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(البقرة:١١٧) ليس هنا حاجة لولد على الإطلاق، هو سبحانه وتعالى قدرته، وقنوت الأشياء له، خضوع الأشياء له، ونفوذ إرادته ومشيئته متى ما أراد ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: لا يوجد حاجة إلى مُعين لا ولد ولا غيره ليكون بشكل مُعين له أبداً.

إذاً هذه الآيات هي نفسها توضح فيما يتعلق بأن تنظر إلى أن هذه القضية غير مقبولة بكل الاعتبارات: من حيث إنه لا يجوز على الله سبحانه وتعالى، ومن حيث إنه ليس هناك حاجة، والحكيم لا يعمل الشيء الذي لا يحتاج إليه. إذاً تجد هذه هي تنسف موضوع أن يكون هناك حاجة لولد عندما يقول: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(البقرة:١١٦، ١١٧).

على الرغم من وضوح آيات الله سبحانه وتعالى، آيات الله في هذا الكون والآيات التي ينزلها على أنبيائه، وعلى الرغم من وضوح الآيات التي يُقدِّمها أنبياؤه تكون هي بالشكل الذي لم يعد يبقى هناك أيُّ تساؤل أو أيُّ حاجة إلى بحث عن آيات أخرى؛ هدى الله واضح، هدى الله كافٍ وفوق الكفاية في كل المجالات وأمام كل التساؤلات.

لكن يحصل كما حكى في هذه الآية: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون: ﴿لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾(البقرة:١١٨) هل هناك قصور فيما قُدِّم من جهة الله حتى نقول إن هناك حاجة إلى أنني أريد أن يكلمني أنا مباشرة، أو نريد آية؟! كلام الله هو كتبه، ينطق بها رسله وورثة كتبه، أليس الله يقول عن القرآن الكريم بأنه كلامه: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ﴾(التوبة:٦) يُسمِّيه كلامه؟! هذا المطلب الذي يعني: هلاَّ أو ألاَ ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ إنما يأتي من جهة ﴿الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون؛ لوضوح ذلك الهدى، وتعدد الآيات البينات التي لم يعد يبقى بعدها حاجة إلى ماذا؟ إلى طرح اقتراح أن يكون هناك آيات أخرى.

هذه قد تأتي أيضاً في مقام عدم التقدير وروح الكبرياء مثلما حكى في آية أخرى عمَّن قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾(الأنعام:١٢٤) ومن قال عنهم: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾(المدثر:٥٢) أنه لماذا اختص ذلك الشخص من بين الناس أن يصطفيه نبياً؟! الغالب أن الأنبياء يكونون بالنسبة لوضعيتهم المادية بالشكل الذي قد يرى الواحد بأنه لو كان هو، إذاً فلماذا لا يؤتى مثلما أوتي رسل الله؟ لماذا يختص ذلك وحده؟ ونحن يُكلّمنا! إذا كان كلّم موسى فليُكلّمنا! وهكذا إذا كان اصطفى ذلك الرسول، ونحن لماذا لا يعطينا مثلما أعطى رسله؟! هي كلها نابعة عن: أنهم ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون بأنه عندما يصطفي رسولاً فإن دور الرسول هو مرتبط بهم هم، كل ما يؤتى الرسول هو سينصب إليكم أنتم، الهدى، البينات، كل جهد الأنبياء، كل كلامهم، كل عملهم، هو كله في سبيل هداية الناس، في سبيل إخراجهم من الظلمات إلى النور، في سبيل تعليمهم وتزكيتهم.

هذا هو مظهر من مظاهر تكريم الله للإنسان بشكل عام: أن يصطفي أول شيء لأهمية هداه، وسعة هداه، وعظمة هداه، ولقيمة هذا الإنسان، الله خلق الإنسان وكرمه فعلاً، مِن تكريمه: أن يصطفي له على أرقى مستوى من يكونون هداة له، بمعنى من يكونون أقدر من أيِّ أحد منهم لإيصال هداه إليهم، إذاً فأنت ترى في الأخير بأن الرسول بكله لك، إذاً ماذا بقي؟ ﴿لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ أو ﴿حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ هو قد آتاكم الرسول بكله، أليس هو يقول: (جاءكم) (أتتكم)؟ إذاً قد أعطاك ذلك الرسول بكله، هو من أجل هدايتك وتعليمك وتزكيتك، فماذا تريد بعد هذا؟ تريد أنت شخصياً فالقضية ليست مرتبطة بك شخصياً، هو هدى يكون موجهاً لأمة، لبناء أمة، هدى لا يكون على مستوى فردي فقط، فيتصور: (إذاً لماذا لا يعطيني مثل ذلك؟ ويكفي) أن يؤتيك أنت على أساس ماذا؟ لك وحدك، هذا لا يمكن، لا يحصل، ليست هذه سُنة الله بكلها في الهداية.

هدى الله يأتي للناس جميعاً لماذا؟ لأدوار كثيرة مترابطة ومتعلقة بهم جميعاً؛ ولهذا يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾(آل عمران:١٠٣) لأن الكثير من مجالات التطبيق لهدى الله سبحانه وتعالى تكون هي مرتبطة بالأمة كأمة، المسؤوليات الكثيرة في دين الله مرتبطة بالأمة كأمة، لا يمكن أن ينهض بها الفرد الواحد منهم، بل مسؤولية ينهض بها الكل فيصبح الكل وكأنهم شخص واحد في النهوض بتلك المسؤولية؛ ولهذا قال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(آل عمران:١٠٤) ليس معنى القضية: بأنه اختص ذلك الشخص له هو هو، واصطفى رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وأنزل عليه الكتاب وكأنها كلها له (ونحن لماذا لا يعطينا مثله؟!) ليست القضية بهذا الشكل. إن كل ما أعطاه هو للناس، لهدى الناس، وتعليم الناس، وتزكيتهم.

هذه القضية هامة جداً يجب أن نفهمها بألاّ تكون عندك مشاعر بأنه لماذا لا نُعطَى مثلما أعطِيَ فلان؟ لأن المسألة على هذا النحو: أن الله أعطاك ذلك بكله، أعطى الأمة أنبياءه، أعطى الأمة كتبه عن طريق أنبيائه، أعطى الأمة ورثة أنبيائه؛ إذاً لم يعد هناك أيُّ شيء إلاّ مشاعر ﴿الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون.

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾(البقرة:١١٨) الذين لا يعلمون من الأولين ومن الآخرين هكذا تأتي اقتراحات من هذا النوع التي لا قيمة لها، وليس واقعها غائباً ﴿لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ قد كلّمك الله بكتابه، وعلى لسان نبيه، أليس الله يقول: ﴿وَأَنزَلَ إِلَيْكُم﴾؟ يقول في القرآن الكريم بأنه أنزله إلينا، إلى الناس، هو كلامه إلى الناس بواسطة رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ هذه آيات عظيمة جداً، آيات عظيمة جداً، هذه الاقتراحات ليس هناك حاجة لها، في آيات الله هذه ما يكفي الإنسان أن يكون موقناً وليس أن يعلم فقط، بل أن يكون موقناً: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(البقرة:١١٨) تصل بهم إلى درجة اليقين، وليس فقط لقوم يعلمون، لمجرد أن يعلموا، بل يعلم وتصل به إلى درجة اليقين.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ هذه هي سُنة الله سبحانه وتعالى وليس أنه استجابة لمقترحات الآخرين: ﴿لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ هكذا قد عمل الله سبحانه وتعالى الشيء الذي فيه فوق الكفاية. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾(البقرة:١١٩) أنت هذه هي مهمتك: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وأولئك الذين لا يهتدون سيصبحون من أصحاب الجحيم، ولست المسؤول عنهم لماذا لم تجعلهم مهتدين، مهمتك أنك بشير ونذير، وتبذل كل ما لديك من قدرات، وتبيِّن على أرقى مستوى، فالآخرون الذين ماذا؟ لا يؤمنون، لا يستجيبون، ويكونون من أصحاب الجحيم لن نقول في الأخير: أنت تتحمل مسؤوليتهم، مثلما لا تقول لمعلم مُعيَّن: لاحِظ الطلاب الذين رسبوا في الفصل أنت تتحمل مسؤوليتهم، قد تتحمل مسؤولية إذا كان هناك تقصير من جانبك، لكن عندما يقول في هذه الآية: ﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ هي تؤكد بأن عمل الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو بالشكل الذي لم يعد يبقى عليه أيُّ مسؤولية على الإطلاق بالنسبة للآخرين الذين لم يهتدوا، أي: أنه قد بيَّن على أكمل درجة من التبيين، وأوضح على أعلى درجة من الإيضاح؛ لهذا فلم يبقَ عليه أيُّ مسؤولية، وإلاّ قد تكون هناك مسؤوليات حقيقة، سيأتي بعد يتحدث عن المسؤوليات فيما يتعلق بمن يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾(البقرة:١٥٩) أليس هو هنا يذكر مسؤولية كبيرة نتيجة أنهم كتموا فضلّ كثير من الناس؟ أو أشخاص تُقدِّم إليهم هداية فيضلون أنت لا تتحمل مسؤوليتهم.

هذه الآية تؤكد لك بأنه بالنسبة للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لا صلة له على الإطلاق بما هو ضلال من بعده على الإطلاق، ولا تترتب عليه أيُّ مسؤولية بالنسبة للناس الذين ضلوا وكفروا وأصبحوا من أصحاب الجحيم أبداً، بمعنى ماذا؟ أنه لا علاقة له بالإضلال على الإطلاق، بمعنى أنه جاء بالتبيين الكامل الذي لا يحصل على الإطلاق بسبب تقصير من عنده إنما هم يضلون عن علم؛ ولهذا يأتي في آيات أخرى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾(الشورى:١٤) ولهذا قال الله في آية أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾(الأنعام:١٥٩) لا علاقة لك بهم، ولا صلة لهم بك نهائياً.

الآية تكشف اهتمام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وأساه وتألمه على أولئك الذين لا يهتدون، يهتم حتى يقول الله له في الأخير: أنت ليس عليك مسؤولية، لكن هو مهتم جداً، هو رحيم جداً بالبشر جميعاً، ويحزن ويأسف لماذا لم يستجيبوا؟! لماذا لم يهتدوا؟! لأنه يعلم عظمة هذا الدِّين الذي يُقدِّمه للناس، ويعلم خطورة عدم الاستجابة بالنسبة لهم في الدنيا وفي الآخرة.

﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(البقرة:١٢٠) أحياناً قد يكون عند الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) اهتمام كبير بشكل أنه كيف يعمل ليرضى عنه الآخرون عسى أن يستجيبوا، هذه حالة تحصل عند الناس، يحاول الواحد أنه كيف يسترضي الآخرين من أجل إذا كانوا راضين عنه ربما يهتدون، الآية تكشف بأنه كان مهتماً جداً فيما يتعلق باليهود أيضاً، فيما يتعلق بالنصارى، أنه حريص على هدايتهم، متأسف جداً لماذا لم يهتدوا، قد يصل الإنسان الكثير الاهتمام، الكبير الاهتمام، الحريص جداً على أن يهتدي الآخرون، قد يصل إلى محاولة أنه كيف يرضى عنه الآخرون، وقد تحصل أخطاء في هذا الموضوع. هنا يقول له: هذه فئة لن ترضى عنك أبداً باعتبار واقعها وما هي عليه لن ترضى عنك أنت.

وعندما يقول: ﴿لَن تَرْضَى عَنكَ﴾ فبالأولى لن ترضى عنا نحن لماذا؟ لأن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) باعتبار أخلاقه، حرصه، سلامة نفسيته، تعامله الحسن، وده بأن يهتدي الكل، رحمته بالكل، أليس هذا الإنسان هو أقرب إلى أن يرضى عنه أيُّ طرف من الأطراف؟ أنت على الرغم مما أنت عليه من الأخلاق الكريمة العالية العظيمة، وليس فيك ما يمكن أن ينفّر منك، بل فيك ما يجعل الآخرين يرضون عنك لكن هؤلاء هم فئة مختصة بماذا؟ بحالة غريبة جداً هم لن يرضوا عنك أبداً.

إذاً مَن منا فيه الجاذبية التي في رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) والتي كانت أدعى لأن يرضوا عنه من أيِّ واحد منا؟ إذاً فنحن لن يرضوا عنا نهائياً، فإذا كان هناك من يمكن أن يرضوا عنه فهو محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لعلوِّ أخلاقه وطيب نفسه ورحمته وحرصه على هداية الجميع ولا يحمل عداءً شخصياً على الإطلاق.

هذه الآية هامة جداً، ولهذا تجد بعض الآيات، الإعراض عنها يجعل الناس يرتكبون أخطاء رهيبة جداً في سياستهم، في ممارستهم، في أعمالهم، هذه متجلية في ممارسات الحاكمين في البلاد العربية والإسلامية بشكل عام، محاولين كيف أن يرضى عنهم اليهود، يُحسِّن علاقاته ويحمد الله أن هناك علاقات طيبة ثنائية ما بيننا وبين أمريكا، أو أشياء من هذه! بل يصلون إلى حالة أن يسترضوهم مثلما عملوا في القمة العربية في بيروت، قَدّمت أشياء سيئة جداً، قد أصبحوا مستعدين حتى أن يضمنوا أمن إسرائيل فقط تطلق أراضي (٦٧) كما يقولون عنها، أي: التي احتلتها عام (١٩٦٧م) يطلقونها للفلسطينيين ومستعدون أن نقيم علاقات معها، ومستعدون حتى أن نحافظ على أمنها! لم يرضوا، لم يرضوا أبداً.

إذاً هذه نفسها عندما نقول: يجب أن ننظر في موضوع القرآن الكريم والاهتداء به فيما إذا دخلنا مع طرف آخر في حوار عندما يقول: إذاً ما الدليل على أن القرآن يمكن أن يكون له إيجابية؟ متى حكم القرآن حتى تستطيعوا أن تقولوا بأنه قدَّم نموذجاً على أعلى مستوى؟ نقول: الآن الحياة كلها شاهدة لهذا القرآن، الله يقول في القرآن أنكم: لن ترضوا عنا، وأنتم تشهدون على أن هذه حقيقة لا شك فيها، ووجدنا بأنكم عندما لم ترضوا عنا، ولستم أبداً يمكن أن ترضوا عنا؛ نجد كيف تصرفاتكم معنا بالنسبة لكم أنتم، بالنسبة لليهود والنصارى، بالنسبة للداخل، الحاكمين، المثقفين الذين يرون أن نحاول أن نحسِّن علاقاتنا، نحاول ألاّ نعمل أشياء مثيرة للطرف الآخر أن نحاول ماذا؟ أن نسترضي الآخر، أي: أن نكسب رضاهم نقول: وجدنا كيف كان تعاملكم بالشكل الذي ضرب هذه الأمة وأنتم تبحثون أن يرضوا عنكم فلم يرضوا عنكم!

إذاً أنتم عملتم بالجانب الآخر مما نبَّه عليه القرآن فكان واقعكم شاهداً لا شك فيه على ماذا؟ على عدم العمل بالقرآن، وهذا هو أبرز الأمثلة في أنه شيء له قيمة، أن تكون قيمته متجلية في الاتجاهين، وقد يعطي قيمته ويبرهن على عظم قيمته بروز في اتجاه واحد، أي: إذا قلنا مثلاً بأن الذي برز أمام هذه الآية الكريمة هو: أنهم فعلاً وجدناهم عملياً لم يرضوا عنا، ووجدنا من يبحث عن رضاهم لم يحصل على رضاهم، ووجدنا بأنه عندما يقول: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ﴾ فعندما تبحث عن رضاهم معناه سيحصل هناك قائمة من الأخطاء، في رؤيتك، في سلوكياتك، في تعاملك مع الناس، هذا الذي حصل، ألم يصلوا إلى درجة أن يقبلوا أن يُغيِّر الأمريكيون المناهج؟! وهم يقولون في نفس الوقت إنهم يريدون أن يُخفى كثير من القرآن! ما عاد يُقرأ! أليس هذا بحثاً عن رضاهم؟ فلم يرضوا عنهم، ألم يسرِّحوا أعداداً كبيرة من الخطباء بالمئات في السعودية من أجل أن ترضى عنهم أمريكا؟! فلم ترضَ عنهم، نقول: إذاً صدق الله العظيم، هذا شاهد واضح، ثم تأتي تقول لي: متى حكم القرآن فقدم نموذجاً؟ نقول: الكل يشهد بأن القرآن الكريم على أعلى مستوى.

﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ ملتهم؛ لأن أيَّ شيء أنت عليه يُعتبَر ملة بالنسبة لك، أيَّ شيء أنت عليه: توجهك الثقافي، سلوكياتك، الشيء الذي يقوم عليه التعامل فيما بينك وبين الآخرين هو يُسمَّى مِلّة. هل يقبل اليهود والنصارى منك ويرضون عنك بأن تبرهن لهم بأنك على دين إبراهيم؟ لا، بأن رسالتك هي امتداد لرسالة موسى وعيسى وأن كلكم رسل من عند الله وديانة واحدة من عند الله؟ لا، ملتهم هم، التي قال عنها في الأخير سماها أهواء، هذا شيء مهم بالنسبة لنا أن نفهم أن ما بين يدي بني إسرائيل مما هو الآن عبارة عن ملة لديهم باسم يهودية أو باسم نصرانية هو ماذا؟ مجموعة من الأهواء؛ ولهذا قال: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾(البقرة:١٢٠) عندما يقول: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ سمَّى ملتهم بعد بمجموعة أهواء كأنه قال: ولئن اتبعت ملتهم، قال عن الملة نفسها: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾. هو قد نبَّه في آيات كثيرة أخرى شخّص من خلالها واقع ما لدى بني إسرائيل، ما لدى اليهود والنصارى عندما قال: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾(المائدة:٧٧).

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾(البقرة:١٢٠) لأن الإنسان أحياناً قد ينطلق بواقع حرص سواءً تحت عنوان حرص على الدِّين على أن يكسب الآخرين، أو حرص على مصلحة وطنية من أجل لا يحصل شر على أبناء وطنه مثلاً فيقدمون أشياء مُعيَّنة هي أهواء من جانبهم، فيحاول أن يسترضيهم بتقبُّلها.

إذاً سيكون في نفس الواقع كأنه غير مؤمن بهذه القضية القاطعة: أنهم لن يرضوا عنك، في الأخير ستخسر، وفي الأخير على الرغم مما أنت عليه، وهذا مثل بالنسبة للآخرين، إذا كان يقول عن نبيه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ لأن اتباع أهوائهم في هذا الواقع يؤدي بك إلى تجاوز

ما جاءك من العلم من جهة الله سبحانه وتعالى، من العلم الذي هو هدى، ومن العلم بواقعهم هم وأنهم لن يرضوا عنك، ستكون خاسراً، وفي الأخير ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ﴾ أيُّ طرف آخر بديل عن الله معناه: أن الله سيتخلى عنك، وفي الأخير لن تجد لك أيَّ ولي ولا نصير ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ﴾ مما سيأتيك من جانبه من عقوبة، وليس هناك أيُّ طرف آخر يمكن أن يكون بديلاً لك فيكون ولياً ونصيراً، لا ليدفع عنك من الله، ولا ليكون بالشكل الذي تعتمد عليه في مجال اتباع أهوائهم.

إذاً فإذا كان مثل الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لو حصل منه ما هو اتباع لأهوائهم فسيعرِّض نفسه لخطورة بالغة جداً، والآية توحي بأنه سيأتي شيء من جهة الله، أي: شيء من جهة الله هو يضربه، وفي الأخير لا يكون له لا ولي ولا نصير في أن يدفع عنه ما يأتي من جهة الله. إذا كان الرسول نفسه هكذا لو حصل منه فكيف بالناس، فكيف بالآخرين؟ أليس مقام الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عند الله أعظم من مقام مجموع هذه الأمة بكلها؟ إذاً فهذا التهديد خطير جداً لو يتأمله الناس، لو يتفهمه الحكام، لو يتفهمه الكثير من المثقفين، الكثير من زعماء الأحزاب؛ لأنها تؤدي إلى خطورة بالغة جداً؛ لأن الله قد قطع المسألة هنا: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى﴾ إذاً أعلمك، أليس هنا قد أعلمك؟ لأن هذا علم جاءك من عند الله بالنسبة لهذه القضية، لم يبقَ محاولات: أن تجري وراء أهوائهم على أساس أن تبحث في استرضاء، حتى ولو كان عندك حسن نية، سواءً بالنسبة للدِّين أن تكسبهم ليدينوا بما أنت عليه، أو من أجل مصلحة لأمة مُعيَّنة، أو مصلحة وطنية كما يتشدق بها الآن الكثير من الحكام: (أنه فقط من أجل الحفاظ على المصلحة العامة للوطن) القضية واضحة الآن.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ لا يوجد ولي ولا نصير يدفع عنك سواءً فيما يأتي عليك من الله سبحانه وتعالى كعقوبات إلهية، أو فيما يأتي من جانب العدو نفسه من شر، لا يوجد معهم ولي ولا نصير إلاّ أن يرجعوا إلى الله ويدينوا بقطع، يقطعوا قطعاً باتاً بأن هذه قضية لا شك فيها، ويبنوا كل أمورهم كل تعاملهم مع الآخر على أساس: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ هذه فيها تهديد خطير جداً؛ لأنهم عندما يكونون متوجِّهين لفرض أشياء علينا، ثم يقولون: نتقبّلها، ثم أيضاً يترافق معها ترويج إعلامي (أننا هدفنا أن نحرركم، ونبني أوطانكم، ونعمل كذا...) بل البعض يقولون: (انظروا كيف أصبحت اليابان، وكيف أصبحت ألمانيا؟ أليست هذه الدول قد اُحتلت من قِبَل الأمريكيين، ثم انظروا كيف أصبحت)؟ هذه أولاً: قضية خداع، ليست أمريكا هي التي بنت اليابان، بل اليابانيون أنفسهم هم، قالوا: إن الإقطاعيين في اليابان الذين كانوا يمتلكون رؤوس أموال كبيرة تنازلوا عن نسب كبيرة جداً من أموالهم لتمويل النهضة العلمية من جديد، والنهضة الصناعية من جديد، هم تنازلوا عن ممتلكاتهم، وصلت اليابان إلى تحطيم بشكل رهيب، كذلك ألمانيا، ليس الأمريكيون هم الذين نهضوا بألمانيا، ولا الذين نهضوا باليابان أبداً.

هذه تقطع أيَّ تفكير من هذا النوع بأنه: (طبيعي أن نتقبَّلهم، هم هؤلاء يُقدِّمون خدمات ومشاريع، وربما يفكّون عنا الطغيان، وربما تتحسن وضعيتنا، وربما، وربما) وأشياء من هذه! الله يقول هنا: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾(البقرة:١٢٠) هذا تهديد: ستضرَب هذه الأمة، أولاً: أن هؤلاء الأعداء ليس لديهم نية على الإطلاق، ليس لديهم نية أن يرتقوا بالشعوب، لو كانت هذه النية حاصلة لديهم لكانت السعودية ودول الخليج على أرقى مستوى فيما يتعلق بنهضة علمية وصناعية، لكن لا، هم لا يأتون ليبنوا الأمم إنما يأتون ليمتصوا دماء الشعوب كما عبر عنهم الكثير، في مقدمتهم (الإمام الخميني) سماهم: مصاصي دماء الشعوب.

ثم هذه القضية خطيرة تيئس الناس تماماً، فلا يقبلون أيَّ ترويج دعائي لتقبُّل أمريكا وإسرائيل ومن يدور في فلكهم على الإطلاق؛ لأن معناها تهديد إلهي: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ إذا كنتَ تجد أنه يهدد النبي، فالتهديد لك ولهذه الأمة بالأولى، بمعنى أنها قضية خطيرة لن يداهن فيها ويجامل فيها نبيه الذي اصطفاه وأكمله وهو يعرف بحسن نواياه، لن يتبع أهواءهم هكذا اعتباطاً، قد يكون مع حسن نية: إمَّا من أجل أن نَسْلَم شرَّهم مثلاً، أو من أجل عسى أن يصلحوا، أو من أجل أشياء من هذه.

إذاً ليس هناك أحد يحمل نفس النوايا الحسنة التي يحملها النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أبداً، ومع هذا لو انطلق ليتبع أهواءهم - هم لا يمتلكون إلاّ أهواء، هل يمتلكون حقاً؟ هل يمتلكون دين حق؟ لا، وبالتأكيد لا يوجد

مقابل الدِّين الحق، ومقابل الحق إلاّ أهواء، كلها أهواء - إذاً ستضرَب الأمة عندما تتبع أهواء هؤلاء، وقد ضُرِبت إلى الآن والله أعلم إلى أيِّ مجال ستصل الضربة.

لاحِظ علاقة الآيات التالية في الموضوع هذا نفسه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ فعندما يقول: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى﴾(البقرة:١٢٠) أليس هذا من الكتاب الذي نتلوه وتتلوه أنت يا محمد؟ لأنه أول ما أنزل عليك، وأنت أول رجل أوتيته، يجب أن تكون مؤمناً به إيماناً قاطعاً: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(البقرة:١٢١) ستخسر.

البعض يُفسِّر: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾ معناها: يتبعونه حق اتباعه، هذا هو واحد من مصاديق تلاوته ﴿حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾ أن يتلوه حق تلاوته، كيف ﴿حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾؟ بتدبُّر بتأمل من منطلق رؤية واسعة كما قال الإمام القاسم: (يجب أن تنظروا إلى القرآن ككتاب هداية) كتاب هداية، وأنت تعرف سعة الهداية، وتعرف سعة هذا القرآن، وأنت تقرؤه وتتلوه من خلال مزج ما بين القرآن وما بين الواقع، مزج ما بين القرآن وما بين الحياة بشكل عام، وما بين الماضي والحاضر والمستقبل وأنت تقرؤه، هذه تلاوته ﴿حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾ ليس معنى تلاوته حق تلاوته قلقلة الحروف والغنة وأشياء من هذه!

إذاً فمن واجب من أوتوا الكتاب أن يتلوه حق تلاوته، وفي نفس الوقت يكونوا مؤمنين به، والإيمان به إيمان تصديق، وإيمان عملي، يقطعون بالحقائق التي يُقدِّمها، بالأخبار التي يتضمنها مثل هذه: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ وكثير من أمثال هذه.

﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾(البقرة:١٢١) هذه توحي: بأن تلاوة القرآن حق تلاوته فعلاً تدفع إلى الإيمان به ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ لكن لم يُتلَ حق تلاوته، تُلي من الناحية الفنية، أن يكون الشخص الذي أنت تتلوه عنده يُراعي الغنة (هل جعلت الغنة بمقدار حركتين هنا؟ هل المد بمقدار أربع حركات أو ست حركات؟ هل أنت قلقلت حرف القلقلة؟) بعد ذلك يقول: (باهر، ممتاز) يعطيك جائزة لأنك حصلت على درجة عالية في تلاوته!

لاحِظ هذه الآيات عندما نقرؤها بهذا الشكل، أي: على هذه الطريقة نفسها، أليست تعطي القرآن في أنفسنا مكانة كبيرة جداً؟ وتجده كتاباً يلامس القضايا، ويلامس الواقع فعلاً، وتجد فيه فعلاً المصاديق في واقع الحياة، في كل الاتجاهات، في الخارج وفي الداخل، داخل الأمة الإسلامية وخارجها. قد يكون من نعمة الله علينا: أن نكون في ظرف مليئ بالأمثلة، واقع تستطيع أن تمثل من خلاله لكل شيء، تستطيع أن تُقدِّم برهنة من خلاله ما يجعلك تلمس القرآن وإذا هو كتاب حياة على طول يتجدد بتجدد الحياة، لا يكون عبارة بأن نحاول أن نأخذ ما بقي من القرآن. هو كتاب للحياة كلها، في كل جيل يخاطبهم هم، وفي كل جيل وكأنه نزل لهم، في كل جيل، هذا معنى حيويته، ليس معنى حيويته أنه طويل عُمر لكنه قد صار (شيبة) لم نعد نلحق منه إلاّ قليلاً من الأفكار، قد صار (شيبة) وقد أصبح ينسى أشياء كثيرة! ما زال حياً لكن بقية حياة فقط (شيبة) عمره طويل وفيه بقية حياة يمكن أن تسأل هذا (الشيبة) وأعطاك قليلاً من الأفكار، وأحياناً يغلط فيها، وتحاول أن تتأكد منه، هذه حيوية: حيوية فتوَّة في كل المراحل.

﴿يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(البقرة:١٢٢) من رحمة الله الواسعة، والنظرة الواقعية بالنسبة للناس ككل، وهي النظرة التي يجب أن تكون عند من يهتدون بكتاب الله، في نفس الوقت الذي عرَض فيه كثيراً من ماضي بني إسرائيل، الماضي المأساوي، الماضي الموحش، التاريخ الأسود في معظمه، عسى هذا أن يكون قد ترك أثراً لدى هؤلاء الموجودين من بني إسرائيل في أيام تنزل هذا القرآن فيذكّرهم من جديد: ﴿يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يذكّرهم من جديد ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾(البقرة:١٢٣).

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾(البقرة:١٢٤) الكلام عن إبراهيم باعتباره الشخص الذي يلتقي عليه الكل في تعظيمه، والذي يدَّعي كل من اليهود والنصارى بأنهم أولى به، قال في آية أخرى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾(آل عمران:٦٨) إذاً سيَعرض فيما يتعلق بنبي الله إبراهيم لهذا الاعتبار، باعتبارها قضية مساعدة إذا كان بنو إسرائيل سيتذكرون فضل الله ونعمته عليهم، ويذكرون أن هذا هو أبوهم الأول، وهذا مما يدفعك إلى نوع تذكّر: أن يذكر لك تاريخ جدك الأعلى الفاضل الذي كان على هذا النحو؛ لتقارن من خلال عرض نفسيته، عرض اهتماماته، عرض رؤيته الدِّينية بالنسبة للدِّين، رؤيته بالنسبة للأمة، اهتمامه بالأجيال من بعده؛ لتقارن بين وضعيته وبين وضعيتك أنت عسى أن تهتدي.

هذه قضية يستخدمها الناس يقولون: (أبوك كان كذا وكذا، جدك كان كذا وكذا) ألست تعرض عليه كثيراً من القيم الفاضلة التي كان يتحلّى بها جده من أجل أن يتبعه من خلال المقارنة بين واقعه وواقع جده؟ عسى أن يرجع إلى ما كان عليه جده.

نبي الله إبراهيم قُدِّم في القرآن بشكل رائع جداً: نبي من أعظم الأنبياء فعلاً ابتلاه الله سبحانه وتعالى ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ كلمات، أي: قضايا نحن لا نعرف ما هي بالتحديد، قد يكون منها مثلاً تلك الرؤيا التي رأى فيها أنه يذبح ابنه، قضايا يتبيَّن من خلالها سمو نفسيته، وطهر نفسيته، وتسليمه لله، وجدارته بهذا المقام الرفيع الذي آتاه الله فيما بعد: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ هذه الكلمات ليست كما يقول البعض: (هي حلق العانة، ونتف الإبط، وقص الشارب) وأشياء من هذه! هذه ليست ابتلاءات تكشف واقع الشخص ومدى جدارته بتحُّمل مسؤولية مُعيَّنة، والوصول إلى مقام مُعيَّن (نتف الإبط، وقص الشارب، وحلق العانة، وقص الأظافر...إلخ).

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ نجح في الامتحان ﴿فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾(البقرة:١٢٤) هذا المقام الرفيع، ولا يزال إماماً للأنبياء، وإماماً للبشر، وكل يدَّعي بأنه يأتمُّ به من البشر جميعاً ممن لديهم عناوين دين ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ليست فقط مجرد منصب، بل مؤهلاته هو، لا يزال يوحي من خلال حركته، من خلال نفسيته، من خلال مواقفه، يأتمّ به الناس، يقتدون به؛ ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى في آية أخرى ألم يذكر فيما يتعلق بالبراءة من الكافرين أنه قال: إنه يجب أن يتأسوا بإبراهيم والذين معه ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾(الممتحنة:٤)؟ نبي الله إبراهيم مع سلسلة الأنبياء من قبله ومن بعده قدِّموا في آية ليقول لرسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(الأنعام:٩٠) قدَّم له هذه القائمة الطويلة، وفي نفس الوقت حركتهم في تبليغ الرسالة، وأهم نماذج فيها، يستلهم منها، يستوحي منها، يأخذ منها ما يساعده في مجال حركته في تبليغ الرسالة.

نبي الله إبراهيم، ونبي الله موسى، وعيسى، وكل الأنبياء هم لا يزالون يعطون من خلال ما عرضه الله من حركتهم، من أعمالهم، من مواقفهم، فيها ما يستلهم الإنسان منها الأشياء العظيمة في مجال العمل، في مجال الحركة، في مجال الإخلاص لله، والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾(البقرة:١٢٤) نبي الله إبراهيم وهو يعرف عظمة دين الله سبحانه وتعالى هو يعرف أنها سُنة إلهية لا بُد أن يكون للناس أئمة يهتدون بهم: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: واجعل من ذريتي، نبي الله إبراهيم يعرف أن المسألة هنا ليست مسألة منصب متوارَث أو مؤهلات فردية، بل إنها قضية مختصة بالله، هو الذي يجعل، هو قال هناك: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ هل قال: (إذاً ما دام قد جعلني للناس إماماً إذاً فالأولاد الكبير الكبير سوف يتحولون إلى أئمة)؟ هو يعلم أنها قضية يختص بها الله سبحانه وتعالى، وليست عبارة عن إعطاء منصب بقرار: أن هذا ولي العهد، فيكون هو الملك من بعده، أو أن هذا هو الإمام من بعده بمجرد قرار! إن الله هو الذي يجعل هنا قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: واجعل يا إلهي من ذريتي أئمة للناس.

﴿قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(البقرة:١٢٤) لاحِظ خطورة المسألة هنا من خلال مقت الله سبحانه وتعالى للظالمين، وكيف يجب أن يكونوا بعيدين كل البعد عن ولاية أمر الناس، عن أن يُقدِّموا أنفسهم كهداة للناس أو قادة للناس، أليست هنا برزت أول عبارة قبل أن يقول تمام؟ لم يعد يظهر إلاّ في مضمونها إقرار أنه سيجعل من ذريته أئمة، في مضمون هذه العبارة التي تكشف أهمية كبيرة عن ماذا؟ عن خطورة الظالمين، وعن بُعدهم، أنهم يجب أن يكونوا بعيدين على مسافات شاسعة جداً عن ماذا؟ عن أن يكونوا أئمة للناس.

أيضاً قال:- مما يؤكد أن المسألة هي اختصاص إلهي - عهدي ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي﴾ ألم يُسمِّه عَهْدَه؟ أي: لن يعهد إليهم، ولن يعهد إليهم ليس معناه: فقط ألاّ يعطي قراراً، قضية أن يعهد هي الإعطاء، وفي نفس الوقت اصطفاء، في نفس الوقت بناء لأن قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ مثلما قلنا سابقاً ليست بمعنى قرار فقط، بل تأهيل لهذا الرجل أن يكون بالشكل الذي لا يزال يأتم به الأجيال جيلاً بعد جيل، ولا يزال يأتم به، ويستوحي منه، ويستلهم من مواقفه، وحركته، ومشاعره الأنبياء من بعده بما فيهم أعظم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾(البقرة:١٢٥) لاحِظ هنا قضايا كبيرة تُقدَّم في الموضوع: إبراهيم كإمام للناس، يُعتبر شيئاً يمثل ركناً، ركناً في ماذا؟ في سلسلة الدِّين، أو ركن في موضوع الهداية يقتدي به الناس بما فيهم الأنبياء (صلوات الله عليهم) دوره هو أشبه بدور البيت، سيأتي في البيت أيضاً هناك فيما يتعلق

بالبشر كبشر من داخل البشر، وهنا فيما يتعلق بماذا؟ بالبيت الحرام مأوى يأوي إليه الناس، يثوب إليه الناس، يرجعون بطريقة متجددة.

هذه تعني عندما يقول: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أن محور القضية هنا الإمامة: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ بمعنى: أن البشر يحتاجون إلى نوعية من الهداة على هذا النحو، أنهم يُعتبرون قطباً بالنسبة للبشر كما يكون البيت نفسه، البيت له دور والإمام له دور. هذا فيه رد كامل فيما يتعلق بمفهوم ولاية الأمر الذي قدِّم حتى عندنا في كتبنا في كتب (الزيدية) قدِّم بشكل بعيد عن موضوع الهداية، خاصة في الأجيال المتأخرة، تقريباً في الثمانمائة سنة المتأخرة نتيجة (أصول الفقه) و(علم الكلام) وهذه الأشياء، جردوا المسألة من أهم قضية مرتبطة بها وهي ماذا؟ هداية الناس، أي: تربية الناس، وتوجيه الناس، وتوعية الناس، تثقيف الناس، بناء الأمة، القضية الهامة جداً جداً!

جعلوا ولاية الأمر عبارة عن ماذا؟ عن رئاسة عامة، منصب هناك: يُجيِّش جيوشاً، ويستلم زكاة، ويُعيِّن ولاة، ويعزل ولاة، ويقيم الحدود على من زنى أو سرق، ويقيم القصاص، وانتهى الموضوع! القضية هامة جداً، دوره قطب بالنسبة للبشر، قارن بينه وبين الكعبة، أي: في الدور العام، في الدور الهام، في سعة الدور، في سعة دوره.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾(البقرة:١٢٥) يثوبون إليها، يلتقون إليها، هي بيت سميت بيت الله، مَعْلَماً من معالم دينه، من معالم توحيده، من معالم ربوبيته، وألوهيته، الكعبة نفسها يثوب إليها الناس بطريقة مستمرة، يعودون إليها، يعودون إليها؛ لأن ثاب إلى الشيء بمعنى: رجع، فكأن الناس وهم دائماً يعودون إلى الكعبة، يعودون إلى الكعبة باستمرار، هذا معنى يثوبون إليها.

لها قيمة هامة جداً فيما تعطيه من معانٍ، فيما تعطيه من مشاعر، فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى، الإنسان عندما يكون قريباً من الكعبة يشعر وكأنه قريب في أجواء تجعله قريباً من الله، في أجواء تراها دينية، ترى مشاعر الناس هناك كلها مشاعر دينية، مشاعر توجُّه إلى الله، كل واحد يشعر وكأنه قد وصل إلى المكان الذي هو قريب من الله جداً.

يثوبون إليها، التقاؤهم المتكرر هو وسيلة من وسائل بث الهدى والوعي فيما بينهم بطريقة مستمرة؛ لهذا كان الحج مهماً جداً، ولا يزال الأعداء من اليهود والنصارى ينظرون إليه كقضية خطيرة جداً، أي: أن هذه الأمة لا تزال تمتلك نقطة تمثل قوة بالنسبة لها، وإيجابية كبيرة بالنسبة لها، وعامل من عوامل إمكانية توحدها، إمكانية نقل المفهوم الواحد فيما بينها، تعميم المفهوم الواحد والرؤية الواحدة فيما بينها، اطلاع البعض منهم على ما يعاني البعض الآخر من خلال لقاءاتهم؛ لهذا عملوا منذ زمن على تفريغ الحج عن محتواه، تفريغ الحج عمَّا يمكن أن يعطيه من إيجابيات بالنسبة للأمة، وبعدما ظهر (الإمام الخميني) وحاول أن يستغل الحج لتذكير المسلمين، وكان يصدر بياناً في الحج ويوزع؛ لأن الأشياء تنطلق من هناك إلى مختلف بقاع الأرض، أي: تمثل مؤتمراً هاماً جداً لا يستطيع أيُّ طرف أن يموِّل كمثله كل سنة؛ لأنها جاءت قضية عبادية ينطلق فيها الناس هم، كل إنسان يذهب هو بتمويل نفسه فيلتقي الملايين هناك، أيُّ دولة تستطيع أن تموِّل ولو مليوناً كل سنة أن يجتمعوا هناك؟ لا تستطيع أيُّ دولة.

وهذه واحدة من الأشياء التي تلمسها أنها في تشريعات الله سبحانه وتعالى قضايا هامة، وتجدها بالشكل الذي ليست مكلفة، ليست مجهدة، بهذه الطريقة التوزيعية، طريقة: الإنسان هو يتحمل مسؤولية، ومتى ما استطاع أن يحج حج، يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه ينتج لك في الأخير مجتمع كبير، أمة كبيرة تلتقي في ميدان الجهاد، تلتقي في ساحات البيت الحرام، لا أحد يستطيع أن يموِّل تلك الأعداد، وتجد الموضوع بالنسبة لهم غير مجهد، غير مرهق، غير مثقل؛ لأنه ماذا؟ ثقل توزّع وأصبح بالنسبة لكل واحد في الأخير لا يشكّل عبئاً بالنسبة له، لكن المجموع لو كان على حساب جهة واحدة لكان - فعلاً - يمثل عبئاً كبيراً جداً، ينتج لك في الأخير أرقام هائلة.

لهذا نقول: إن هذه رؤية فيما يتعلق بالمجاهدين، أو نقول: بالجيش، الجيش في الإسلام كيف هو؟ هل هو جيش نظامي يموَّل من أموال الأمة فتنفق الملايين بل المليارات في سبيله وفي الأخير تراه لا يُقدِّم شيئاً؟! أم أنه جعل المسؤولية: أن كل إنسان يُعتبَر جندياً، ينطلق هو، وبأمواله، ومتى ما حصل قدرات مُعيَّنة تموَّل تمويلاً إضافياً، أو تموِّل من ليسوا مستطيعين على الإطلاق، في الأخير ترى أمة يتحول الناس فيها كلهم إلى جنود، فيرى العدو أن أمامه ملايين البشر كلهم جنود.

من الذي يستطيع أن يؤلف جيشاً من مليون جندي نظامي؟ يُعتبر رقماً مكلفاً جداً وباهظ التكاليف جداً، ويصل ضرره على الناس بشكل كبير، أي: بفارق ملموس، يصل ضرر الإنفاق، عندما تتولى دولة - مثلاً - تكوين جيش نظامي، وتنفق عليه من الأموال العامة للمسلمين، سترى الضرر يلحق بهم، وترى الثقل يصل إلى كل شخص منهم بالشكل الذي لا يحصل مع انطلاقتهم على حساب أنفسهم، أليس هذا شيئاً غريباً فعلاً؟ شيء غريب فعلاً: أنه لماذا نفترض أنه قد يكون مليون جندي يكلف - مثلاً - تمويلهم للتحرك في اتجاه مُعيَّن أو في ظرف مُعيَّن مليار دولار، إذاً سيكلف مليار دولار مثلاً فلتنفق الدولة المسلمة من نفس المال العام مليار دولار في النفقة، لو تنفق هذا المبلغ ستجد أنه سيلحق أضراراً بالأمة من الناحية الاقتصادية مثلاً، سواءً فيما يتعلق بغلاء معيشة أو بأيِّ اعتبار مُعيَّن، أو فقد خدمات هامة جداً بالشكل الذي يُعتبَر شديد الوطأة عليهم هم أكثر من ذلك المليار الذي هو متوزع هو من داخل أموالهم الخاصة بهم.

فالحج تراه مهماً جداً، وجُعل على هذا النحو: الانطلاقة من جهة كل إنسان هو على أساس الشعور بالمسؤولية، وأن هذه فريضة يؤديها، ويموِّل نفسه هو فيجتمع لك في الحج ثلاثة ملايين - مثلاً - كم تكلفتهم الباهظة لو كان على حساب جهة مُعيَّنة؟ لا أحد يستطيع أن يمولهم.

هذه المقومات الأساسية الهامة للأمة التي عبَّرت عنها هاتان الآيتان: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾(البقرة:١٢٤) ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾(البقرة:١٢٥) عندما لم تعد القضية على هذا النحو في الأمة ما الذي حصل؟ ضاعت الأمة فلم يعد البيت ولم يعد الحج بالشكل الذي يعطي الإيجابية، ولم يعد لدى الأمة قيادة واحدة على هذا النحو: القيادة التي هي ماذا؟ امتداد لقيادة إبراهيم، وقيادة محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم). لديك الآن (٥٧) قائداً ماذا عمل هؤلاء أمام مجموعة من اليهود؟ لا شيء، و(٥٧) قائداً تحتهم كم؟ مليار وثلاثمائة مليون مسلم، وتحتهم ثروات هائلة جداً، وتحت أقدامهم منطقة استراتيجية هامة جداً، وتراهم لا شيء، لا يجرؤون أن ينطقوا بكلمة واحدة إلاّ القليل منهم، وعندما يتكلم القليل منهم يكون الآخرون بالشكل الذي ربما مستحيل عندهم أن يستجيبوا لكلمته، وأن تنطلق إلى مواقف عملية جادة، لا يوجد، إذاً فقدت الأمة شيئين هامين جداً تُعتبَر من أهم المقومات لبناء الأمة، وأن تكون أمة لها فاعليتها، أمة مؤثرة في حركتها، أمة لا يمكن أن تصل إلى الوضعية التي وصلت إليها الآن.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾(البقرة:١٢٥) في نفس الوقت أمناً لا يجوز لأحد أن يعمل أيَّ شر بالآخرين في محيط ذلك البيت نهائياً؛ لهذا كان دخول رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إلى مكة بطريقة حكيمة يتفادى معها أيَّ إضرار بشخص حتى من الكافرين داخل مكة حتى من أعدائهم وهم لا يزالون أعداء كافرين داخل مكة. فتح مكة لا أظن أنه حصل فيه أيُّ حادث على الإطلاق، ترتيبات دقيقة جداً حقق من خلالها فتحاً لمكة، وانكسار شوكة الكفر نهائياً مع الحفاظ على حرمة البيت الحرام، وعلى هذه القاعدة الإلهية: أنه جعله ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

ولهذا كانت جريمة كبيرة جداً: عندما قتلوا العشرات من المسلمين في (عام ١٤٠٧هـ) السعوديون وقع منهم تلك المجزرة الرهيبة جداً قُتل فيها أكثر من أربعمائة شخص والله قد حرَّم صيد حمامة جعل لها حُرمة، حرَّم صيدها، وهؤلاء قتلوا أربعمائة؛ ولهذا ترى الدولة السعودية من بعد لم تقم لها قائمة فعلاً؛ لأن الله قال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(الحج:٢٥) تدهورت دولتهم من ذلك اليوم إلى الآن، ولا تتوقع لها أن تنهض على الإطلاق إلى الأفضل إنما انحطاط إلى أن تتلاشى وتنتهي بخزي وعذاب أليم، عذاب نفسي والله أعلم ماذا سيكون من أنواع العذاب.

قضية ليست محط اجتهادات ولا تأويلات على الإطلاق عندما انطلق مجموعة من جمعية العلماء أو لجنة كبار العلماء، وقالوا بعد تلك الجريمة الكبيرة: إن الدولة السعودية لم تقم إلاّ بما وجب عليها! لاحِظ الآن كيف هم أخزوا هم، تراهم الآن أصبحوا في وضعية - تقريباً - سيطر على مشاعرهم: أن يتأقلموا مع الكافرين، أن يتأقلموا مع اليهود والنصارى وما تمليه أمريكا عليهم.

البيت جعله الله مثابة للناس لا يجوز لأيِّ طرف أن يتحكم فيه بما يحول دون أن يصلوا إليه، بل واجبه أن يُقدِّم خدمات، وليس أن يحول لا بفرضيات مُعيَّنة، أي: أن المفترض أن البيت الحرام في الحج إليه، واعتماره يكون له طرق سالكة لا تتوقف لا على (جوازات) ولا على أيِّ ترتيبات من هذه الأشياء التي يعملونها، إلاّ فقط الجوانب الأمنية التي تعني خدمة، لا بأس تفتيش، مراقبة الحجاج: هؤلاء من منطقة كذا، وهؤلاء الحجاج من منطقة كذا، إحصائية من أجل ماذا؟ لتقديم خدمة أمنية.

عندما يكون هناك مبالغ تؤخذ سواءً في البلد الذي أنت تحج منه، أو من نفس الدولة التي تهيمن على هذا البيت الحرام وعلى المشاعر المقدسة، تطلَع لك تكلفة الحج في الأخير بحوالي (٥٠٠٠ ريال سعودي) هنا وأنت في أقرب منطقة إلى البيت الحرام، كيف ستكون التكاليف بالنسبة لمسلمين آخرين من بلدان أخرى من الهند من الصين من بلدان أخرى كم ستكون تكاليفهم؟!

إذاً فهذه جريمة في نفس الوقت، المفترض ألاّ يترتب؛ لأن الله جعله مثابة للناس، لا يجوز لأيِّ جهة أن تهيمن عليه، وإنما تُعتبَر خادمة له ولمن يحج إليه، وكان المشركون يتنافسون على خدمة الحُجاج، وكان البعض منهم يُعِدُّون الشراب، وأناس منهم يُعِدُّون الطعام: يَفتّون للحُجاج الخبز مع اللحم مع غيره، يطعمونهم، يتنافسون على خدمتهم، وهؤلاء يقولون: ضيوف الرحمن، ويختلسونك وأنت ما زلت هنا تقطع (جواز) محسوب حوالي (٥٠٠ ريال) محولة هناك لمكتب الوكلاء الموحد سعوديون، وتدخل والأشياء ترتفع أسعارها، يرفعون أسعار الأشياء، أسعار الشقق السكنية، أسعار المواصلات، السيارات، أسعار المأكولات، المواد الغذائية، أسعار كل شيء ترتفع وتتضاعف بنسبة هائلة، لا يتركون الوضعية على أقل تقدير تكون وضعية طبيعية.

إحدى المرات في مكة استأجرنا (شقة) بأربعة آلاف وخمسمائة تقريباً ستة أيام، نسأل أحد المستأجرين قال هو مستأجر الشهر بسبعمائة ريال، لماذا حجاج بيت الله تستغلونهم بهذا الشكل: ستة أيام بأربعة آلاف وخمسمائة ريال! بينما الشهر بسبعمائة ريال في الأوضاع الطبيعية؟!

عندما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾(البقرة:١٢٥) يجب أن تكون حركة من يرون لأنفسهم أن هناك حقوقاً مُعيَّنة واعتبارات مُعيَّنة أن يكونوا قائمين على ما يتعلق بالمشاعر المقدسة أن يكون كل عملهم في هذا الإطار، أي: فيما يُسهِّل أن يكون ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ فيثوبون إليه، فيما يُسهِّل عملية أن يثوبوا إليه، أن يترددوا عليه ليحجوا ويعتمروا، أليست تقتضي أشياء كثيرة وتسهيلات يترك طريقاً سالكة هناك (خط) إذا كان يريد أن يقفل على مدن أخرى حتى لا يدخلها أحد، يترك خطاً سالكاً لمكة والمدينة والمشاعر المقدسة لا تربطه بأيِّ شيء، حتى لو تريد أن تعمل عليه (شبك) اعمل على بلادك (شبك) إذا كنتَ تريد أن تهيمن عليها، اعمل عليها (شبك) حتى لو تريد أن تسقفه، اتركه خطاً سالكاً ولا يكون مرتبطاً بأيِّ رسميات على الإطلاق، جوازات مُعيَّنة، أشياء مُعيَّنة لم يكن بهذا الشكل مئات القرون في تاريخ هذه الأمة، كان يحج من يحج، ويحج الناس بتكاليف بسيطة جداً.

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾(البقرة:١٢٥) أمرٌ من الله لِمَا لهذا من أثر نفسي، ولِمَا لهذا من ربط تاريخي، ربط روحي، هذه قضية هامة: استشعار وحدة المسيرة الإلهية، وأن تبقى آثار من آثار إبراهيم، مقام إبراهيم لا يزال باقياً تصلي بالقرب من ذلك المكان، يربط مشاعرك بإبراهيم، هذا يُلهم فيما يتعلق بماذا؟ بالاقتداء، فيما يتعلق بالسلوك؛ لأن قضية الآثار الدِّينية التي تمثل معلَماً من معالم مسيرة الدِّين يكون لها أثرها الروحي في الناس.

هذا يُبيِّن أهمية الآثار، المعالم الدِّينية فيما تتركه من أثر في النفوس، والأعداء يفهمون هذه؛ لهذا حاولوا في كثير من الآثار الدِّينية في مكة والمدينة أن يُجرِّدوها تماماً مِن أيِّ شكلية يجعلها توحي بهذا الشكل، مسجد مُعيَّن يُحوِّلونه ويُغيِّرونه إلى نمط جديد من البناء فلم تعد ترى فيه أيَّ أثر إلاّ أنه بُنِي في عام ألف وأربعمائة وكذا! أي: قبل عشر سنوات أو ثمان سنوات لم تعد الآثار الإسلامية باقية.

كان المفروض حتى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن يحافظوا عليه بشكليته، يحافظوا على نمط المدينة بشكليتها يعملون لهم عمراناً خارج محيط هذه، ويجعلونها منطقة غير قابلة إلاّ فقط للترميم على النمط نفسه، كما يعمل آل سعود بماذا؟ بآثارهم هم، قصر (الديرة) في الرياض تراه يملجونه بطين، ويتركون بابه على ما هو عليه، بنفس النمط الذي هو عليه من يوم أن اقتحمه (عبد العزيز) لأن عبد العزيز اقتحمه وقتل الأمير الذي كان فيه[1].

تلاحِظ كيف كانت فعلاً قضية تؤكد: بأن الأشياء التي تُعتبَر من الأساسيات في معتقدات الوهابية: نسف الالتفاتة الدِّينية لآثار إسلامية أو معالم دينية، قالوا: (شرك)! أن هذه فعلاً عندما تقرأ كتب (محمد بن عبد الوهاب) وتنظر فعلاً إلى رؤية المستعمرين، رؤية المحتلين، رؤية الأعداء، يحاولون أن يزيلوا الأشياء التي

(١) في ١٦ صفر ١٣٢٤ هـ الموافق ١٢ أبريل ١٩٠٦م استولى عبد العزيز آل سعود وأتباعه على حصن الأمير عبد العزيز بن متعب الرشيد وقتلوه.

هي آثار تشد الناس إلى تاريخهم الدِّيني إلى بداية حركة الإسلام، آثار الإسلام يقولون: (شرك، شرك، شرك) كلها يحاولون أن يُغيِّروا معالمها مهما أمكن، يُغيِّرون معالمها تماماً، ولا يتركونك ترى الكثير منها؛ ليخلقوا فراغاً روحياً عند الناس ينسف ذلك التأثر الذي ماذا؟ له قيمة إيجابية، وتربطك بتاريخك الدِّيني.

عندما تدخل المدينة وكأنك عدت إلى القرن الأول ترى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ترى الأشياء وكأنك سافرت إلى ما وراء ألف وأربعمائة سنة، أليس الأثر سيكون كبيراً في النفس؟ هم يعرفون أهمية التراث؛ ولهذا موضوع التراث عندهم قضية هامة، لكن التراث الجاهلي يهتمون به، أمَّا التراث الدِّيني فإنهم يحاربونه كلهم، يحاربه الأعداء، ومذهب من داخل الأمة تقوم عقائده على نسف معالم الدِّين وآثار الدِّين! حتى إنهم حاولوا في مرحلة من مراحل حركتهم (الوهَّابيين) أن يُدمِّروا قبَّة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)!

يحاولون في ترتيبات بناء المسجد، وزيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن تكون بالشكل الذي لا تتمكن أن تراه، أو تستحضر في ذهنيتك: أن هنا داخل هذا المبنى رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فقط ممر واحد، وممر ضيق، ومجموعة من (الْمَطاوِعَة) والجنود يدفعونك: (هيا، تحرَّك!) باب واحد، تدخل من باب وتخرج من باب بسرعة (هيا بسرعة) لا يتركونك تلتفت لشيء، لا يتركونك تبقى لتستحضر في ذهنيتك، تعود إلى ما قبل ألف وأربعمائة سنة أبداً! ألم يكن بالإمكان أن تكون الزيارة ممرَّين؟ كان بالإمكان أن تكون ممرَّين، لكن لا، ممر واحد فقط وبسرعة هيا!

محراب النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يضعون فيه مجموعة كراسي، يملؤونه بالكراسي لا يتركونك تجلس فيه، أو تصلي فيه كل هذه الأشياء (بدعة، شرك، هيا، لا تلمس شيئاً) عندما تلمس شيئاً يبدو وكأنك تلمس شيئاً يعود بذهنيتك إلى قرون من تاريخ هذه الأمة يقول لك: (ممنوع)! وبطريقة وقحة، بعض (الْمَطاوِعَة) يركلون الناس بأقدامهم، يركلونهم فعلاً، يدفعونهم، ويركلون بعضهم، ويضربونهم، والبعض يقودونه إلى السجن؛ لأنه حاول أن يلمس قبة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ويُقبِّلها! لكن اذهبْ لتقبِّل كتف الأمير لا يوجد مانع، قبِّل كتفه، قبِّل يده وهو حتى لا يبادلك التقبيل بل يبقى واقفاً وهم يقومون بتقبيله في كتفه، أو يُقبِّلون يده فقط، وهو لا يبادلهم، ويتبركون بهذا، وتراهم يذهبون لهذا! لكن هناك، لا، ممنوع!

لاحِظ مثلاً من الناحية العملية؛ ولهذا قلنا: إنه يجب ممن يرون أنفسهم قائمين بشؤون البيت الحرام أن تكون كل أعمالهم بالشكل الذي يُسهِّل عملية أن يثوب الناس إلى هذا البيت، وأن يكون مكاناً آمناً تأمن فيه على أموالك، وتأمن فيه على نفسك، تأمن فيه على وضعيتك، لا تكون هناك ولا تدري كيف، عندما تريد أن تنام - مثلاً - فأمامك مبانٍ الغرفةُ بخمسمائة ريال سعودي - مثلاً - أو بأكثر خلال أيام معدودة، حتى الإيجار يرفعونه بشكل كبير، يستغلون هذا المكان الذي هو للناس جميعاً ويبنون فيه مباني شاهقة، وفيها مئات الغرف، ويُؤجِّرونها بأغلى الأثمان، أليس هذا استغلالاً لِمَا قد جعله الله للناس جميعاً؟!

هذه المهمة قال الله عنها: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(البقرة:١٢٥) أن يكونوا خادمين لهذا البيت، نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل أنبياء من أعظم أنبياء الله، مهمتهم رعاية هذا البيت، وتسهيل مهمة الطواف والركوع والسجود، أي: أن يكون هذا البيت بالشكل الذي يستطيع الناس أن ينالوه وبخدمات تتوفر لهم حتى يثوبوا إليه، ويقوموا بتفاصيل عبادية تؤدَّى نحوه.

﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ وهو الذي قال له في آية أخرى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾(الحج:٢٧) أليس هؤلاء الناس وهم يتجهون إلى البيت الحرام، ويطوفون حوله، ويصلون حوله، يجعل من مهامه الرئيسية: أن يكون خادماً لهؤلاء، يحاول أن يكون خادماً لهذا البيت بالشكل الذي يُسهِّل عملية العبادة عند هذا البيت، وأن يحج إليه الناس، وأن يثوبوا إليه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنا﴾(البقرة:١٢٦) لأنه يعرف أن يكون هذا المكان هو مثابة للناس أن الجانب الأمني مهم، الجانب الأمني سواءً من الجهة التي تَعتبر نفسها قائمة عليه، أو فيما بين الناس أنفسهم، عندما تلقى من اعتدى عليك، عندما تلقى قاتل ابنك، أو قاتل أبيك أو أيَّ شخص، ليس محلاً أبداً أن تنتقم فيه من أحد.

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾(البقرة:١٢٦) كيف اهتمام الأنبياء أنفسهم، اهتمام الأنبياء بما هو من معالم دين الله، واهتمامهم أيضاً فيما يتعلق بالناس، وبالذات الناس القريبين من هذا البيت الحرام لئلا يصبحوا أناساً يستغلون الوافدين إليه. وفِّر لهؤلاء، ارزقهم، وليس

فقط سيدعو لهؤلاء فقط؛ لأنه عندما يكون رزق المحيطين بهذا البيت، ومن هم في طريق الوصول إلى هذا البيت الحرام متوفراً قد يشكّل هذا أمناً بالنسبة للناس، أمناً من السطو على ممتلكاتهم، وأمناً من استغلالهم، استغلالهم في أقواتهم، استغلالهم فيما يتعلق بتوفير المسكن والطعام والشراب لهم. لكن عنده كراهة شديدة بالنسبة للكافرين بالنسبة للظالمين ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾(البقرة:١٢٦) لاحِظ من الناحية الأمنية أنه حتى ولو كانوا أناساً عاصين في ذلك المحيط قد يُهيِّئ الله أرزاقهم رعاية لمن؟ رعاية لمن يَفِدون إلى هذا البيت؛ ليكون فيما يتعلق بالجانب الأمني يتوفر للناس أمن، ولكن اتركهم يُعتبَر متاعاً قليلاً بالنسبة لهم: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

إذاً فهذه ترد على من يظن بأن أولئك الناس هم على حق بحجة أنه (لاحِظ كيف الباري مَدَّهم) كان يمدُّ قريشاً وهم مشركون: ﴿الَّذِيْ أَطْعَمَهُم مِن جُوْعٍ وَآمَنَهُم مِنْ خَوْفٍ﴾ لكن على هذه القاعدة: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً﴾ ممكن حتى ويتوفر له رزقه، لكن وسيؤاخَذ مؤاخذة شديدة، لماذا يوفر له رزقه؟ لأنه عسى أن يكون في توفير رزقه مأمن من أن يسطو على الآخرين ويستغل الآخرين الذين يثوبون إلى هذا البيت، ويتجهون إلى العبادة التي هي مرتبطة بأدائها على نحو مُعيَّن عند ذلك البيت.

ليس معناه أنه عندما أعطاهم أنهم أهل الحق، وأنه قد اعتبرهم أهل الحق؛ لأن الباري قد أعطاهم بترولاً، وأعطاهم، وأعطاهم، وأشياء من هذه! لا، ستكون هذه مسؤولية كبيرة جداً، وخطورة بالغة عليهم عندما يتوفر لهم الرزق؛ ومن الاعتبارات الهامة في توفيره من أجل الآخرين ثم تراهم يستغلون الآخرين، أي: يتوفر لهم الرزق هناك بالشكل الذي يستطيعون أن يُقدِّموا تسهيلات كبيرة جداً للحُجاج، وليس أن يأخذوا منك خمسمائة ريال سعودي مقابل استخدام (الإسفلت) استخدام الخطوط! إذاً ما هي الأشياء – هناك – التي تأخذها مجاناً؟ هل هناك شيء؟ لا يوجد، بل تأخذ بأغلى الأثمان، أحياناً يصل نقل الحُجاج من منى إلى مكة بخمسين ريالاً سعودياً فوق (شبك) الباصات، وهي بريالين في الوضعية الطبيعية في غير الحج، تنقل من منى إلى مكة بريالين فقط.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾(البقرة:١٢٧، ١٢٨) هنا يُقدِّم إبراهيم وإسماعيل شخصيتين عندهم حيوية واهتمام عالٍ، ومشاعرهم كلها مليئة بالتوجُّه إلى الله، والإخلاص لله، والتقرب إلى الله بكل عمل ممكن أن ينالوه متجهين لبناء البيت فيرفعون قواعده وبإخلاص لله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لاحِظ كيف فيما يتعلق بالمسؤولية أليست شرفاً عظيماً لإبراهيم وإسماعيل؟ هنا في قضية الشعور بالجدارة أنها قضية يجب أن تنسف التي أصبح عليها بنو إسرائيل فيما بعد فرأوا أن الكثير مما حصل لهم بحيث إن فيهم أنبياء وورثة كتب ونعماً وأشياء من هذه، وكأنها جدارة، هم جديرون، فليس لله فضل!

هو شرف عظيم لإبراهيم وإسماعيل أن يُوكل إليهم القيام بهذه المهمة، لكن لاحِظ أليس هنا ذائباً في مسألة أنه يؤدي عملاً صالحاً يقبله الله، ناسياً موضوع (إذاً واللهِ شرف عظيم حظيت به) وناسياً أنه فقط يرى نفسه كبيراً، ويضخم نفسه. هو ذائب في الله وفي العمل الصالح الذي يرضي الله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ هم يعرفون أهمية البيت الحرام كمَعْلم من معالم توحيد الله، والتوجه الواحد كقبلة يتوجَّه إليها عباد الله الموحِّدون ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أنفسنا هذه نسلمها لك، هنا ألست تلمس أنه لا يوجد لديه التفاتة لنفسيته على الإطلاق، ليس مستغرقاً لمشاعر: أنه نبي، أنه عظيم، أنه جدير بهذا؟ هذه لا توجد، كل ما لديه من اهتمام: أن يتقبل الله منه العمل الصالح، وأن يجعله مسلِّماً نفسه تماماً لله، يُخضع نفسه لله، ويستغرق كل ذهنيته، كل تفكيره: الذوبان فيما يرضي الله، الذوبان في ماذا؟ في معرفة الله، وفي حب الله، التسليم لله.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ حريص أن يجمعوا معهم ما أمكن، وبالذات ذريتهم؛ لأن الشيء بالنسبة لك أنه يؤلمك جداً أن يكون ابنك، أو ابن ابنك، ذريتك ينشؤون نشأة كافرين بالله، أليس هذا يؤلمك أكثر بكثير؟ يؤلمك جداً، إذاً فهم حريصون بالنسبة لذريتهم أن ينشؤوا على الطريقة نفسها ﴿أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ لا يوجد مسألة: (يَهْوَدَة) و(نَصْرَنَة) ومن هذه العناوين القومية، كل العنوان لديهم: ﴿مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾، ﴿أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ ألم يتحدث هناك عن بني إسرائيل سابقاً: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى

﴿عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾(البقرة:١١٣) ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾(البقرة:١١١) يُقدِّم القضية الهامة هي: التسليم لله، التسليم لله هذا هو العنوان الرئيسي لدينه.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أوضِحْ لنا مناسكنا التي نؤديها، نتعبَّد لك بها ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ هذه المشاعر الهامة جداً التي يجب أن يكون عليها أيُّ إنسان مؤمن ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ وهم ماذا يعملون؟! بعض الناس يقولون: (الله غفور رحيم) وهم يعملون معاصي! هذا يقول: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ وهو يرفع قواعد البيت الحرام في عبادة من أرقى العبادات، يقيم مَعْلماً من معالم دين الله في الأرض للناس جميعاً يقول: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(البقرة:١٢٨) أليس القرآن هنا يُقدِّم لك حتى مشاعر أنبيائه وأوليائه -بعضهم يقول: القرآن لا أحد يعرف ماذا يأخذ منه، أو يقول أمام القرآن: فقط؟! - يشخّص لك الناس، يشخص لك الأمم، يشخص لك مشاعر؟ وليس فقط يُقدِّم لك سيرته، بل يُقدِّم سيرته أو عبارات من عنده يقولها في مقامات مُعيَّنة هي بالشكل الذي يشخص لك مشاعر هذا الإنسان العظيم، أو يشخص لك مشاعر الإنسان السيئ مثلما تقدَّم عن بني إسرائيل الذين قال عنهم سابقاً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾(البقرة:١١٨).

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(البقرة:١٢٩) هو قال هناك: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾(البقرة:١٢٨) ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ في ذريتنا هذه: ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هذه فيها قضية هامة أنه حتى في الأشياء التي قد تكون أنت عارفاً بأنها واقعة، وعد إلهي، أيضاً ينبغي أن تكون على هذا النحو: تدعو الله. قد يكون إبراهيم نفسه يعرف بأن الله سبحانه وتعالى سيبعث نبياً في آخر الزمان من ذريته محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ومع هذا يدعو، يدعو، علَّم المؤمنين أنفسهم وهم يتحركون في سبيله التي وعد فيها بالنصر: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾(محمد:٧) أن يدعوه؛ لأنها قضية هامة تجعلك مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى، وتتذكر أيضاً صحة الطريقة التي أنت فيها، وتستنجز وعد الله سبحانه وتعالى.

جانب عبادي مهم لا يجعلك تتحرك في حالة من الغفلة، أو تَعتبر وكأن القضية قد صارت مُنجزَة فلا حاجة إلى الرجوع إلى الله، لا، إن المسألة يجب أن تكون دائماً دائماً مرتبطاً بالله بما فيه الدعاء بماذا؟ بالشيء الذي قد وعد بأن ينجزه؛ لأنه هل بإمكان إبراهيم (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إلى هذه الدرجة أن يدعو على هذا النحو، وهو يعرف أن المسألة هي مرتبطة بالله سبحانه وتعالى؟ فيما يتعلق به هو ألم يقل: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾(البقرة:١٢٤)؟ فقضية أن يبعث رسولاً هنا أو رسولاً لزمان مُعيَّن ليست قضية خاضعة لموضوع الدعوة فقط بل قضية مرتبطة بالله سبحانه وتعالى. إذاً فقد يكون إبراهيم فعلاً على علم بأن الله سيبعث من ذريته في مكة في ذلك المكان رسولاً منهم: يتلو عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، لكن مع ذلك يدعو، وهو يدعو هو يَعتبِر هذه نعمة عظيمة جداً، أليست تُعتبَر نعمة عظيمة جداً؟ يعتبرها منحة إلهية جليلة، ويبقى في نفس الوقت مرتبطاً بالله، مشاعره مرتبطة بالله في إنجاز وعده.

تعطي الإنسان المؤمن اهتماماً فيما يتعلق بذريته أن يكون حريصاً على أن يكون ذريته على هذا النحو: ينشؤون مرتبطين بالله، مسلمين لله، علومهم على هذا النحو: يتعلمون كتاب الله، والحكمة التي تضمنها كتاب الله، ويزكون أنفسهم على أساس هدي الله. الكثير من الناس لا يلحظ هذه، الكثير من الناس يكون فَرِحاً بابنه ماذا سيجمع ويوفر؟ ماذا سيعود به من غربته أو كسبه؟ لا، لاحِظ هذا الجانب المهم عند إبراهيم: أن تكون ذريته على هذا النحو: مسلمة لله، وأن تحظى ذريته بذلك الرجل العظيم الذي يُعلِّمها الكتاب والحكمة ويزكيها.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾(البقرة:١٣٠) هذه هي ملة إبراهيم، ليست تلك الملة التي قال اليهود كما سيأتي في الآية بعد: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾(البقرة:١٣٥) هذه ملة إبراهيم، هذه طريقته، هذه مشاعره، هذا أثر الملة التي يسير عليها.

تجد كيف قدَّم إبراهيم نموذجاً عالياً في ماذا؟ في موضوع هداية الله، تظهر من خلاله الآثار لهدى الله، عندما يسير الإنسان على هدى الله، وكيف تكون مشاعر الإنسان الذي يهتدي بهدي الله، كيف تكون اهتماماته، كيف تكون آماله، كيف تكون نفسيته في توجهه إلى الله، هذه روحية هامة جداً: عندما يكون الناس منطلقين في أعمال صالحة: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ لا يكن عند الواحد أن له الفضل فيَمنّ على الله، أبداً،

أن يمُنّ على الله فيعتبر القضية هي قضية جدارة، لا، يجب أن تكون ذائباً في توجُّهك إلى الله سبحانه وتعالى ناسياً لموضوع نفسيتك تماماً؛ لأن هذه هي آية هامة أن يقول: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ وهم يرفعون قواعد بيت الله الحرام.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(البقرة:١٣٠) إذاً فملة من اصطفاه الله سبحانه وتعالى هي الملة الصحيحة؛ لأنها هي الملة التي رسمها الله له أن يسير عليها ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(البقرة:١٣٠، ١٣١) أخضع نفسه تماماً لله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ألم يتجاوب هنا؟ بعكس ما عليه بنو إسرائيل (ذريَّته من بعده) عندما انصرفوا عن هداه، عن الملة التي كان عليها، والهدى الذي كان على يده في المقدمة، وبدايته من على يده، وهم قالوا أمام البقرة: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾(البقرة:٦٧)؟ هنا قال له: ﴿أَسْلِمْ﴾(البقرة:١٣١) هل قال لماذا؟ ألستُ مسلماً؟ ألستُ مسلماً من قبل سنين؟ ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ليس فيها أخذ ورد يقول: لماذا هل أنت شاك في إسلامي أو تتخذني هزواً أو لم تقتنع بعد بأني مسلم؟ قد أصبحتُ نبياً! لا، ليس مثلما قالوا هناك عندما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾(البقرة:٦٧) والمقام أن يقولوا أهلاً ومرحباً يذهبون يبحثون ليذبحوا بقرة، أطرف بقرة. إبراهيم قال: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(البقرة:١٣١) عندما يقول لك شخص: اتقِ الله، أو أخلص لله، مهما كنت متقياً لله، ومخلصاً، فلا تتفاجأ، وتقول: (أتظن بأني سفيه، أو تظن أني كذا...؟) لا، قل: إن شاء الله، الله يوفقنا أن نكون مخلصين له، وأحسن الله إليك لأنك قلت لي أن أكون متقياً ومخلصاً.

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾(البقرة:١٣٢) أيضاً وصى بها يعقوب بنيه، هذه المسألة، هذه القضية الهامة، قضية الإسلام لله، التسليم لله، الالتزام الكامل بهدي الله ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ أيضاً وصى بها بنيه، أي: قضية ذات أهمية كبيرة لديهم يوصي كل واحد منهم أولاده بها (ذريته) ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(البقرة:١٣٢) مسلمون لله، أي: كونوا حريصين على الالتزام بهذا الدِّين.

﴿اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ إذا كان هناك في الدنيا ثقافات أخرى وديانات أخرى، وخرافات أخرى، إذاً هذه نعمة عظيمة من الله عليكم: أن يصطفيكم، أن تكونوا حَمَلة دينه وأن يصطفي لكم هذا الدِّين، أن تدينوا به له، وتدينوا به مع بعضكم بعض: تتعاملوا فيما بينكم على أساسه.

الدِّين هذا محوره: هو التسليم لله، إذا لم يكن هناك تسليم للنفس لله سبحانه وتعالى فإنها تظهر أشياء كثيرة جداً تُعتبَر كفراً بكثير من هذا الدِّين: رفضاً لهذا الدِّين، أي: محور قابلية الدِّين هو التسليم لله، القضية الأساسية فيه تساعدك على أن تكون ملتزماً بهذا الدِّين، وتتقبله، وتتأثر، وتستنير بنوره، وتهتدي بهديه، وتستبصر ببصائره: أن تسلّم نفسك لله؛ ولهذا يقول: ﴿فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(البقرة:١٣٢) أي: احرص طول حياتك؛ لأن قضية: ﴿لاَ تَمُوْتُنَّ﴾ أنت لا تدري متى ستموت يحتمل غداً يحتمل بعد غد يحتمل في هذا الشهر يحتمل في الشهر الثاني يحتمل... اجعل القضية: حريص على أن تكون مسلماً نفسك لله دائماً ويكون معناه ماذا؟ في حياتك كلها.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾ حريص على هذه الوصية وتأكيدها حتى في لحظة احتضاره: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(البقرة:١٣٣) أليس معناه: أن أسلافهم كانوا على هذا النحو؟ هذا نموذج آخر من داخل بني إسرائيل، يُبيِّن لك كيف وصل بنو إسرائيل، وأن الذي أوصلهم إلى الحالة السيئة: هو إعراضهم عن هذه المسيرة العظيمة التي بدأت بإبراهيم، فيما يتعلق ببني إسرائيل ومن بعد من بعد نبي الله إبراهيم، أن هؤلاء عندما كانوا مهتدين بهدي الله وحريصين على هدي الله حتى لمن بعدهم، لم يصبحوا مضلين لمن في عصرهم ومضلين لمن بعدهم.

هو قدَّم لنا أن القضية في بني إسرائيل أصبحت على هذا النحو: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾(البقرة:٧٨) هذا الجيل الذي معهم، وأصبحوا هم متبعين لـ﴿أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾(المائدة:٧٧) أي: متقدمون أضلوا متأخرين، أضلوا الأجيال التي تعيش معهم، وأضلوا مَن بعدهم! لكن هؤلاء هداة لمن كانوا معهم، ويحرصون على هداية مَن بعدهم أيضاً، وقضية رئيسية لديهم: التوجيه بعبوديتهم لله، وإسلامهم لله: ﴿مَا تَعْبُدُوْنَ مِن بَعْدِي﴾(البقرة:١٣٣) هدى وهو في حالة الاحتضار.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(البقرة:١٣٤) إذاً عرَض عرضاً كاملاً بالنسبة لبني إسرائيل، هذه النماذج المهمة منهم: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، كذلك الجيل الذين أقرّوا والتزموا عندما قالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(البقرة:١٣٣) وذلك النموذج الذي قدموه على طول تاريخهم، النموذج السيئ، إذاً ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ كلهم، أمة مضت، أنتم الآن مستقبلون مرحلة جديدة، مرحلة نبوة محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهذا الكتاب القرآن الذي يُنزل إليه.

إذاً فما كان هناك من أعمال حسنة لهؤلاء العظماء لن ينالكم منها شيء، وذلك الضلال الذي امتد على طول تاريخكم إلى الآن يكفي، استأنفوا الحياة من جديد، استفيدوا من هذه الفرصة العظيمة أمامكم: نبي جديد، وكتاب جديد هو محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) افصلوا ذهنيتكم عن هذا الموضوع تقولون: نتمسك بما كان عليه آباؤنا، فقد ظهر كيف كنتم في الأخير، مجموع ما لديكم: ﴿أَهْوَاءَ﴾ عندما نقارن بين ما لديكم وبين ما لدى الآباء الأولين: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق يوجد فارق كبير جداً. إذاً فليس مبرراً لكم أن تقولوا: نحن متمسكون بأولئك، أولئك أنتم بعيدون عنهم، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق فيما كانوا عليه أنتم بعيدون عنهم، وأولئك انتهوا انكشف لكم ضلال ما كنتم عليه، وضلال ما كان عليه الخط الآخر من أسلافكم، استأنِفوا المسيرة من الآن.

هذه المسألة إنما تقال لبني إسرائيل على أساس أنهم مستقبلون لمرحلة جديدة. نحن هل يُقال مثلاً بالنسبة لنا ونحن في وضعية عندما نقول: إنه يجب أن نعرف ونحن نقيِّم واقعنا بحيث نعرف من أين أُتينا؟ ما السبب الذي جعلنا نصل إلى هذه الحالة السيئة؟ فوجدنا المشكلة بدأت من هناك، بدأت من بعد موت رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) من داخل جيل الصحابة، ثم يقولون بعد: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ ولا تزال آثار تلك الأمة إلى الآن متحركين فيها، ويدعون إليها، ويربُّون على أساسها، ويثقفون الناس على أساسها! هذا ليس مقاماً لهذه أن تقول لي: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ وأنت امتداد لتلك الأمة، وأنت ما زلت تمثل امتداداً لتلك الأمة، لكن تعال تغيِّر الوضعية تماماً وسنقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ أمَّا أن تقول لي: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ وما زلت تتحرك بنفس ما كانوا عليه من أخطاء، وأنت تمثل امتداداً لأولئك الذين ضلوا بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ثم تقول لي: لا أتكلم عنهم، ولا أقيِّم الوضعية التي كانت بدايتها أخطاؤهم ومخالفاتهم، هذا منطق غير صحيح ولا تنسجم هذه الآية معه، لاحِظ ماذا تعني هذه الآية؟ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ أي: أنتم مستقبلون مرحلة جديدة ادخلوا فيها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(البقرة:١٣٤).

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾(البقرة:١٣٥) انظر الفارق الكبير إبراهيم وإسماعيل يقولان: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ ويطلقان هذا الاسم على ذريتهم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾(البقرة:١٢٨) يوصون أولادهم بأن يكونوا مسلمين لله، وهؤلاء قدَّموا عنواناً جديداً من داخلهم: كونوا هوداً، والنصارى قالوا: كونوا نصارى ﴿تَهْتَدُواْ﴾! إذاً أليست هذه مخالفة واضحة؟ هذا العنوان مختلف تماماً، عنوان للدِّين مختلف تماماً، أي: وصلت المخالفة إلى درجة المخالفة في الدِّين بكله، في عنوانه بكله؛ كونوا هوداً، قال أولئك: كونوا نصارى!

﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾(البقرة:١٣٥) وتلك الملة قد شرحناها كيف كانت (إسلام) ﴿فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُسْلِمُونَ﴾(البقرة:١٣٢) وآباؤكم أعطوا هذا العهد عندما قالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾(البقرة:١٣٣) وأبوكم الأول الذي اسمه إسرائيل وهو يعقوب لم يفارق أولاده إلاّ بعد أن أقروا أمامه في اللحظة الأخيرة أن يكونوا مسلمين، وهؤلاء قد صار لديهم عناوين أخرى: كونوا هوداً، كونوا نصارى! ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(البقرة:١٣٥) أي: وصلت الحالة فيهم إلى الشرك داخل اليهود، وداخل النصارى.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ خطاب للمسلمين، قد يكون بشكل رئيسي خطاباً للمسلمين: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ أي: القرآن الكريم: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِم﴾ إذاً أليست هذه أفضل طريقة؟ أي: أحجموهم ﴿هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ لا، هذا العنوان كله شامل، ماذا بقي بإمكان اليهودي والنصراني أن يقول لك من بعد؟ ماذا يستطيع أن يقول لك بعد؟

﴿آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ وهو القرآن، وهذا هو التسليم لله، هذا هو الإسلام، وهذه هي ملة إبراهيم ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(البقرة:١٣٦) هذه الإجابة تفحم الطرف الآخر، هذه هي الإجابة الصحيحة، وتتكرر في مقامات كثيرة، لا يبقى الناس فارغين في ذهنيتهم لا يعرفون كيف القضية فيقال

لهم: ديانات سماوية، اليهودية ديانة سماوية، النصرانية ديانة سماوية، الإسلام ديانة سماوية، هذه كلها ديانات، لا. هذه هي القضية الأساسية: نحن مسلمون ليس فيه اعتراف بيهودية، اعتراف بنصرانية، على هذا النحو تكون القضية ليست قضية اعتراف بيهودية، اعتراف بنصرانية قل: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾(العنكبوت:٤٦) لأنك بهذه تشهد على أنهم هم مفصولون عن هذه المسيرة حتى في عنوان الدِّين، عنوان الدِّين من بدايته إسلام لله، والإسلام لله مقتضاه: تقبُّل ما جاء به أنبياء الله، والتسليم لله: بأن ندين في أيِّ جيل بما يريد أن ندين به؛ لأن الدِّين هو لله سبحانه وتعالى.

إذاً لا يوجد ديانات سماوية، وخطر كبير عندما يكون هناك من يعممه: اليهودية، النصرانية، والإسلام، كلها ديانات سماوية، وكلها نعترف بها وكلها كذا. هذه استسيغت في أوساط المسلمين للأسف، وهذه خطيرة جداً أن يقبلوها، خطيرة جداً، ولَمّا كانت خطيرة فالله يعلّم المسلمين كيف يقولون؛ لأن اليهود قالوا: كونوا هوداً، النصارى قالوا: كونوا نصارى، هذا نموذج لِمَا يمكن أن يقولوه، فإذا كان لا يُقبَل في زمن من الأزمنة أن يقولوا للناس: كونوا هوداً، قد يقولون شيئاً آخر، يقولون: (هذه ديانة سماوية، وهذه ديانة سماوية، اعترِفوا بها مع الديانة التي أنتم عليها) ويعممونها بطريقة أخرى.

قل أمام كل ما هو من هذا النوع من المقولات: ﴿قُولُوا﴾خطاب للمسلمين بشكل عام: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾ أي: إيمان بالرسل وإيمان بالكتب، نحن مؤمنون بالتوراة، ومؤمنون بالإنجيل، ومؤمنون بالزبور، ومؤمنون بصحف إبراهيم، ومؤمنون بكتب لا نعلم ما هي أسماؤها مما أنزل على أنبياء آخرين، هذا هو الإيمان الحقيقي، لكن أؤمن (باليَهْوَدَة) وأؤمن (بالنصْرَنَة) هذه عناوين أخرى لا علاقة لها بدين الله، بل ديانة هي مجموعة أهواء، مجموعة ضلالات، انحرافات عن ملة إبراهيم، عن التسليم لله، خروج عن الميثاق الذي أعطاه أسلافهم لله والذي أخذ أجدادهم على أبنائهم أن يكونوا مسلمين لله، ويأتي ليقول لك: (ديانة سماوية)!

نحن لا نعترف بأن اليهودية ديانة سماوية، لا نعترف بأن النصرانية ديانة سماوية، نحن نؤمن بما أنزل على موسى، وما أنزل على عيسى، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق...إلخ.

تجد المسألة هنا من البداية كيف أصبح موقفهم من إسماعيل وذرية إسماعيل فعلاً في كتبهم ليس لإسماعيل ولا لذريته أيُّ ذِكر إلاّ بالسخرية في كتب بني إسرائيل! هنا قالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾(البقرة:١٣٣) إسماعيل هو الابن الأكبر لإبراهيم، وإبراهيم وإسماعيل هما الشخصان اللذان أسسا البيت الحرام (رفعوا قواعده) أليسوا هنا أخذوا عهداً، وداخل العهد إسماعيل مع إسحاق، إسماعيل مع إبراهيم وإسحاق؟ وصل بهم الحال إلى أن تنكّروا لإسماعيل وذرية إسماعيل تماماً، وكأنهم ما وُجِدوا، وكأنهم لا ثقل لهم، وكأنهم لا شيء، وكأنهم لا صلة لهم بإبراهيم.

تجد كيف فرَّقوا بين أنبياء الله، ثم فرَّقوا هم داخلهم! هم مسيرة واحدة، وأسرة واحدة: إبراهيم إسماعيل إسحاق يعقوب، أليست هذه أسرة واحدة؟ يُهمِّشون إسماعيل ويركزون يعقوب هناك! إسماعيل ومقابله إسحاق لكونه في الطريق فقط إلى إبراهيم، وإلاّ فالاهتمام لديهم بيعقوب، هم قدَّموها عنصرية، قدَّموها قومية بشكل بغيض جداً.

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾(البقرة:١٣٧) ألم يعلِّم المسلمين هنا كيف يقولون: ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾(البقرة:١٣٦) كلهم أنبياء الله، كلهم رسله، والكتب التي أنزلت عليهم، دون أن تلحظ ما بين يدي بني إسرائيل؛ ما بين أيديهم محرَّف، وضلالات، لا يعني أن ما بين أيديهم هو ما أنزل، في داخله قد يكون، لكن العبارة الصحيحة: ما أنزل عليهم من جهة الله، وما أنزل عليهم ليس معناه ما بين أيديكم الآن وقبل الآن مما هو مجموعة تحريفات وضلالات. إذاً فالموقف هنا واضح: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ بما أنزل إليكم، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل...إلخ، وأن يكونوا مسلمين كما أنتم فقد اهتدوا ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ قضية واضحة عناد وشقاق؛ لأن ما تدعوهم إليه هو ملة إبراهيم، هو ملة إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وهذا الدِّين الذي هو امتداد من قَبْل إبراهيم، هذا موقف ليس فيه اعتراف بالآخر، هل فيه قبول للآخر؟ لا ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ اِقبلوهم ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ فقفوا منهم الموقف الذي يفرضه عليكم دينكم منهم، الموقف منهم: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ عندما يصبحون مشاقين لن يكون من جانبهم إلاّ ماذا؟ عناد، ومؤامرات، وحرب، وأشياء من هذه.

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(البقرة:١٣٧) لاحِظ أنه لا بُد أن يكون الموقف صريحاً على هذا النحو، لا يكن هناك أقلمة، تأقلم، امتداد لقوله هناك: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(البقرة:١٢٠) هنا يقول: كيف يكون الموقف فيما يتعلق بالقضية من أساسها، علاقتنا بهم تحت عنوان دين أو غير دين عندما يقولون لك: كونوا هوداً، كونوا نصارى! قل: لا، هذا موقفنا: نحن نؤمن على هذا النحو: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ﴾(البقرة:١٣٦) لا يوجد اعتراف بكم على الإطلاق.

القضية إن اهتديتم إلى ما نحن عليه، آمنتم بما أنزل إلينا وأنزل إليكم، فقد اهتديتم، وإن توليتم فأنتم مشاققون، لا تحسب حسابات أن تحاول أن تسترضيهم بأي عبارات مثل الذي يحاول المسلمون الآن عندما يقولون: (كلها ديانات سماوية واحدة) أليست هذه عملية استرضاء، على أساس خوف من أيِّ شيء كان؟ هذا الخوف لا يبرر أن تصل بك المسألة إلى هذا التنازل، إلى هذا العنوان المشين، إلى هذا التسليم المشين، لا، بل يكون موقفك صريحاً: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾(البقرة:١٣٧) فإن آمنتم بما نحن مؤمنون به هو هذا العنوان الكبير: ﴿بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ...﴾ إلى آخره، وبعنوان مسلمون ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ﴾(البقرة:١٣٦) فإن آمنتم بما نحن مؤمنون به فقد اهتديتم، ونقبلكم كمسلمين وإلاّ فأنتم تعتبَرون مشاقين، يشاقون كيفما يشاقون موقفنا منهم هو الموقف القرآني الذي صرَّح في الأخير: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(التوبة:٢٩) أليس هذا موقفاً صريحاً؟ إذاً فهذا هو ينسف هذه الحالة السيئة، وهذه المحاولة السيئة التي يطرحها، بل ربما قد صارت مطروحة في المناهج، في مناهج أبناء المسلمين: القبول بهم كيهود، القبول بالنصارى كنصارى وباعتبارها (يهودة) و(نصرنة) ديانات سماوية! أليس هذا موقفاً صريحاً هنا؟ حتى لو كنتَ تخاف ما تخاف من ورائهم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(البقرة:١٣٧) لا يخفى عليه شيء من مؤامراتهم، لا ما يسرونه ولا ما يعلنونه.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾(البقرة:١٣٨) هذه هي صبغة الله (التعميد) يُعرَف بأن هذا هو إنسان مسلم لله، هي هذه، ليست الصبغة التي يعملها النصارى، يغمسون أولادهم في ماء مُعيَّن، مصبوغ بصبغة مُعيَّنة على أساس هذا قد صار نصرانياً بمعنى: أنه قد صار من الناس المتدينين بدين الله، بل هذه هي صبغة الله، هذه التوجيهات، هذا العنوان، هذه المقولة: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾(البقرة:١٣٧) قبلها: ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(البقرة:١٣٦) هذه هي صبغة الله. يدخل ضمن صبغة الله الموقف منهم؛ ولذلك جاء بكلمة صبغة الله بعد قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ﴾ أيضاً جاء بعدها بقوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾(البقرة:١٣٧) أي: يكون موقفكم منهم على هذا النحو، إذاً فهذه هي صبغة الله عقيدة وموقف.

[هنا سُئل السيد حسين من أحد الحاضرين: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ أليست توحي بأنه سيحصل معهم صراع؟ فأجاب: هذا معلوم؛ ولهذا جاء في القرآن الكريم توجيهات الله في كيف يتعامل الناس معهم، وفي كيف يكونون منتبهين لهم، وحريصين، وحذرين، ومتجهين عملياً في مواجهتهم إلى درجة المقاتلة ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ وَعَد بالتأييد، وعَد بالنصر، وعَد بفضح مؤامراتهم، وأشياء كثيرة تمثل الكفاية من الله، أشياء تأتي تنطلق أنت فيها وما يعمله الله من خلال انطلاقتك].

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾(البقرة:١٣٨) هذه لدينا هي الصبغة التي يتبين من خلالها أن الإنسان هو مسلم لله، هو على ملة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وكل أنبياء الله إلى محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هذه هي صبغة الله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُوْنَ﴾ ليست الأشياء التي تعتبرونها عندكم: أن فلاناً قد دخل في النصرانية، أن فلاناً دخل في اليهودية، عناوين مُعيَّنة، أو أشياء مُعيَّنة، صبغة مثلما هو عند النصارى يغمسونه في ماء يُسمُّونه (ماء المعمودية) عمَّدوه مثلما تقول: قد صار مُعمَّداً: نصراني.

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾(البقرة:١٣٩) ليس هناك أيُّ مبرر في المجادلة في الله، لكن هم وصلوا في ضلالهم إلى المجادلة في الله، في موضوع الألوهية، قد أصبح الكثير من النصارى على هذا النحو: مجادلة فيما يتعلق بالله، ليسوا مؤمنين بوحدانية الله، يحتاجون إلى أن يجعلوا الله مجموعة من ثلاثة أشياء: عيسى، والروح القدس، والله، المجموع إله. إذاً فالحجة واضحة هنا لدى المسلمين، وقدِّمت القضية بالشكل الذي يُعتبَر موقف اليهود والنصارى في مقام المحاججة ضعيفاً جداً بدءاً من الله والملة

التي كان عليها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، الدِّين بعنوانه، مسيرة الدِّين، هدى الله، كلها بالشكل الذي يمتلك المسلمون فيها الحجة التي تخرس أيَّ طرف يعاندهم من اليهود أو النصارى.

أحياناً قد يكون أسلوب: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ تُقدَّم القضية من جانب الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ومن جانب المسلمين بالشكل الواضح تماماً، فلا تبقى منشغلاً باستمرار بمحاججتهم، بلدادتهم[1] بنقاشهم في كثير من التفصيلات، تتيه معهم: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ لا تعني: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ إقرار على ما هم عليه على الإطلاق، لا تعني هذا، ولا تعني: نحن أمة وحدنا، وأنتم أمة وحدكم، نحن ندين بهذا، وأنتم تدينون بذلك، لنا أعمالنا هنا، وأنتم لكم أعمالكم هناك.

﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ من ضمن أعمالنا المواقف التي وجَّه إليها القرآن الكريم معهم، وموقف القرآن الكريم قام على أساس لا مجال، لو أنه طبق القرآن الكريم، ولو أن المسلمين جسدوه ومثلوه، ترى ليس هناك مجال أمام اليهود من أن يذوبوا في المجتمع المسلم فيسلموا، أو أن يحصل من جانبهم أشياء تُعتبر نقضاً، تعتبر مخالفات فيُضرَبوا.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ انظر كيف بدأ المسألة بعد وضوح المسألة فيما هو دين الله، الحديث عن الله، وعن إبراهيم وإسماعيل...إلخ. إذاً فكيف بإمكانكم أن تحاجونا في الله، القضية واضحة، ثم جاء ليتحدث عن ماذا؟ عن إبراهيم وإسماعيل، المسألة بدأت من فوق، من عند الله وتحت، هذه توحي فعلاً: بأن القضية الأساسية والهامة جداً: معرفة الله، معرفة الله أساس لصحة المعارف الأخرى، أساس فيما يتعلق حتى بمقام المحاججة مع طرف آخر. أحياناً إذا كان هناك نسيان للموضوع: أن المسألة هي كلها تبدأ من عند الله سبحانه وتعالى وتنتهي إليه، فقد يتجادلون إلى تحت، ولا ينتهون إلى شيء نهائياً. هنا يبدأ الموضوع من فوق، ورؤية صحيحة فيما يتعلق بمعرفة الله تكون مساعدة على ماذا؟ كمقاييس تنزل، وأشياء يلتقي عليها الناس في بقية القضايا التفصيلية.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾(البقرة:١٤٠) لأن الله قد قدَّم القضية، هو قال هناك: بأنهم كانوا مسلمين لله، ولم يكونوا يهوداً، ولم يكونوا نصارى؛ باعتبار اليهودية لديهم أصبحت تعني ماذا؟ ديناً: سموا الدِّين يهودية، سموا الدِّين نصرانية ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ والله قد أخبر عنهم كيف كانوا، كانوا مسلمين له.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(البقرة:١٤٠) لأن في كتبهم ما يدل على كيف كان إبراهيم في واقعه، وهنا شهادة جاء بها القرآن الكريم بالنسبة لآبائهم الأولين عندما قال: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(البقرة:١٣٣) إذاً فما في كتبهم من أشياء هي تُبيِّن أن هذا كان واقع سلفهم، يُعتبَر شهادة قائمة لديهم في كتبهم، فهي امتداد لِمَا حكاه الله عن أولئك، وما قالوه هم عندما استوثقهم أبوهم يعقوب.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(البقرة:١٤١) هي نفس المعنى السابق تقول: يكفي حكينا هذه على هذا النحو إذاً عودوا واستأنفوا المسيرة من جديد في ظل نبوة جديدة، وكتاب جديد، رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) والقرآن الكريم، أليس في هذا كفاية بأن يجعلهم يستأنفون المسيرة؟ لكن لا ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾(البقرة:١٤٢) يستمرون في نفس الشقاق، والعناد والتساؤلات...إلخ، ناسين هذا التوضيح الهام لتاريخهم، لتاريخ آبائهم الأولين، والأنبياء منهم ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ أليست هذه قضايا ثانوية أخرى؟ والموضوع هنا موضوع دين، ومسيرة دين، وكله تابع لموضوع التسليم لله، فيتوجهون إلى هذه القبلة، ألا يعرفون في الدِّين بأن الله سبحانه وتعالى هو المشرع، هو الذي يهدي، هو الذي يشرع لعباده، وله الحكم، وله الأمر، يشرع كيفما أراد فالواجب التسليم له، وقدَّم لهم صورة كاملة عن آبائهم أنهم كانوا مسلِّمين له؟

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ عندما كانوا متجهين إلى المسجد الأقصى، ثم توجهوا إلى الكعبة، وكأن هذه القضية حصلت - كما في الروايات - أنه توجه إلى الكعبة، ثم توجه إلى المسجد الأقصى، ثم توجه من بعد إلى الكعبة كيفما كانت المسألة، أي: هل كانت المسألة تتعلق بالتحول من الكعبة إلى المسجد الأقصى، أو من المسجد الأقصى إلى الكعبة، أن في الموضوع تحوُّلاً بإذن الله وبأمر الله،

(١) بِلَدَادَتِهم: اللَّدَد - في اللغة - يعني الخصومة الشديدة والجدال.

مقتضى التسليم لله سبحانه وتعالى - الذي جاء بكلام كثير حوله - قابلية هذه، وهي قضية ليست جديدة في الدِّين، ليست قضية جديدة في تشريع الله سبحانه وتعالى.

﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(البقرة:١٤٢) فهو مالك المشرق والمغرب، مالك السموات والأرض، يهدي من يشاء لأن يتوجه كذا أو كذا، وما يهدي إليه هو هُداه ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ليس معناه أنه هدى الناس إلى ما هو دونه، أو وجههم إلى ما يُعتبَر دون وأقل، أو يُعتبَر انحطاطاً، أبداً ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ هذا صار خطاباً لمن؟ للمسلمين، خطاب للعرب بالذات، خطاب للعرب أنفسهم من البداية، وخطاب موجَّه بشكل رئيسي لقريش، دائرة الأسر التي تلتقي مع رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بالجد الأقرب، يشملهم اسم: قريش، المسألة عبارة عن دوائر: دائرة قريش، داخلها دائرة بني هاشم، داخلها دائرة أقارب رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بعد دائرة ماذا؟ بعد دائرة العرب.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(البقرة:١٤٣) هذه الآية هامة جداً، والكلام حولها بتحريف لمعناها، وتقديمها بشكل يخلق قابلية أن يجرد الأمة عن شهادتها، قد ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ كلمة ﴿وَسَطًا﴾ لا تعني: عدول، أو، أو... في آيات أخرى تبين ماذا تعني (أوسط) في اللغة العربية، أوسط تعني: أفضل، تعني أمة من أوسط الأمم: من أفضل الأمم، مُهيَّأة لأن تحمل هذه الرسالة، وتكون في نفس الوقت شاهدة على الناس، الشهادة هنا ليس فقط في موضوع أنهم يشهدون يوم القيامة بأنه قد جاء نبي وبلَّغ، بل الشهادة بتجسيدهم للدِّين، وقيم هذا الدِّين، وتمثيلهم لهذا الدِّين.

هذا دين عظيم جداً تتجلى من خلال وسط مُعيَّن من الناس، أمة مُعيَّنة، تتجلى قيمه ومثله ومبادئه بشكل جذاب جداً؛ ليكون شاهداً على عظمة هذا الدِّين أمام الآخرين؛ فينجذبوا إليه، وتقوم الحجة على الآخرين به؛ لأن الكثير قد يقولون: مجرد نظرية، وأي نظرية لم يشهد لها الواقع في حياة الناس؛ لأن هذا هو المحك، المحك هو واقع الحياة، واقع الأمة، روحية الأمة، نفسية الأمة، أفرادها الذين يحملون هذه النظرية، يتجلى من خلالهم ماذا؟ مدى إيجابية هذه النظرية أو سلبيتها، بالنسبة للدِّين هذه القضية لم يغفلها، موضوع أنه لا بُد من دائرة تمثل قيم هذا الدِّين ويتجسد فيها هذا الدِّين، فتمثل بهذا شهادة على الناس بعظمة هذا الدِّين، فتقدِّم نموذجاً على أرقى مستوى.

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي: تكون عملية متبادلة عندما تعرف عظمة هذا الدِّين، كلما عرفت عظمته وجدت في شخصية الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وفي حركته شهادة أيضاً على عظمة هذا الدِّين نفسه.

هذه دائماً تفسَّر فيما أعرف بأنه: الشهادة على الآخرين، الشهادة على الأمم بأنه قد وصلتهم الدعوة، أو وصلهم البيان، أو وصلهم أخبار النبوة! وهذه هي المهمة هنا، وهي القضية الأساسية نفسها أن: التأهيل، الاصطفاء هي مسؤولية ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ليس عبارة عن وسام هكذا، أي: أنهم يقدمونها وكأنها عبارة عن وسام، لا، المهمة هنا المسؤولية: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ تحت هذه الكلمة أشياء كثيرة جداً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ الالتزام بهذا الدِّين، الاهتمام بهذا الدِّين، تجسيد قيمه، الجهاد في سبيل إعلاء كلمته؛ لأنه أيضاً يحصل من خلال هذه أن يكون الناس محطاً للتأييد الإلهي أن يتلمس جانب هذه الأمة أشياء هي فعلاً تشهد بأن هذه الأمة على صراط مستقيم، وأن هذا الدِّين الذي تدين به هو دين عظيم، فهذه قضية هامة جداً: أنه لا بُد من إناء، لا بُد من محيط ليكون محطّاً للتأييد الإلهي.

هذه القضية معروفة حتى فيما يتعلق بالرزق، أليس الإنسان إذا أراد أن يعمل له مزرعة يجمع لها تراباً حتى يمكن أن يزرع فيها؟ أليس الواحد يعمل للمطر الذي ينزل من السماء (مَشرَب)[1] يجمعه حتى يجري إلى المزرعة؟ لا بُد من دائرة، لا بُد من محيط مكون من أمة، من مجاميع المؤمنين ينطلقون انطلاقة صحيحة، يعتبرون محطاً للتأييد الإلهي، التأييد الإلهي لا يأتي مبعثراً: مؤمن هناك، ومؤمن هناك، وواحد هناك، وواحد هناك! سترى كل واحد يصيح مكانه فقط، لكن إذا كانوا عبارة عن محيط واحد، هنا سيكونون محطاً للتأييد الإلهي، يتجمع التأييد الإلهي مثلما ماذا؟ تأتي تعمل لك (مَشرَب) تصلحه من هناك ليلتقي القطرات التي تنزل من السماء حتى تصب في مزرعتك يحصل فيها زرع وتثمر.

ليست الوسطية معناها: بين اليهودية والنصرانية، بين التشدد واللين يسمونها: (اعتدالاً، وسطية) لا،

(١) المَشْرَب: قناة يَنْحَدِرُ مَاءُ المَطَرِ مِنْ خِلالِه إلىَ المَزْرَعَة وَيَسْقِيهَا.

ليست بهذا الشكل؛ لأنك عندما تنظر إلى كيف يجب أن تكون هذه الأمة التي قال: إنها ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ في مجال أن تقوم بالمهمة التي تجسِّد ماذا؟ الشهادة على الناس، معناها: أمة يجب أن تكون متوحدة، أن تكون قوية، أن يكون أفرادها ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾(الإسراء:٥) بإخلاص عالٍ لله، بالالتزام بهذا الدِّين ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾(الفتح:٢٩) ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(المائدة:٥٤) هذا معنى ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ كيف قال عنهم هناك: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أليس الذين معه هنا على أساس أنهم ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾؟ إن القرآن ورسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هم يُرَبُّون الأمة الوسط كيف تكون لتكون شاهدة على الناس.

ألم يُربِّهم على هذا المستوى، أن يكونوا أقوياء: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾(الفتح:٢٩)؟ هذه الأمة الوسط هي التي قال لها: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(التوبة:٢٩) هذه وسطية، أليس كذلك؟ هو الذي يقول لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾(الأنفال:١٥) هذه الأمة الوسط، غالباً تكون هكذا ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾(الأنفال:١٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾(التوبة:١١١) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾(البقرة:٢٠٧) هذه هي الأمة الوسط.

ليست الأمة الوسط أن يقال: أمة ليست حول أن تكون شديدة على الكافرين، ليست شديدة على أعداء الله، ليست شديدة في ذات الله، قوية في ذات الله، في تجسيد دينه، في العمل لإعلاء كلمته، هذه لا يصح أن يقال لها: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ هذه أمة منحطة، تسمى أمة منحطة، ليست أمة وسطاً، كلمة وسطاً: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(البقرة:١٤٣) أي: أن الله عندما اختار أن يكون هذا الرسول منهم فهو جعلهم، ما معنى جعلهم؟ مسألة (جعل) هذه قد لا تعتبرها مرتبطة بعشر سنين، أو بعشرين سنة، أحياناً قد تكون قروناً من الزمن، عملية قرون من الزمن، رعاية إلهية حفاظ إلهي على أشياء مُعيَّنة بحيث يكونون مُهَيَّئين لأن ينهضوا بهذه الرسالة، أن يكونوا صالحين لأن يكونوا جنوداً لها، من قبل البعثة، من قبل ربما أن يولد جد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ثم أثناء المسيرة في التربية التي تُقدَّم لهم، في التوجيه الذي يُقدَّم لهم، القيادة التي تُقدَّم لهم.

الأمة الوسط يجب أن تكون قيادتها عالية على هذا النحو الذي يحكيه الله في القرآن الكريم ستأتي الآية بعد بالنسبة للأمة الوسط كيف قيادتها هنا ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾(البقرة:١٥١) أليست هذه قيادة على مستوى عالٍ من القوة في ذات الله، من القوة في مواجهة أعداء الله؟ هذه الأمة الوسط، وقيادات الأمة الوسط، ومنهج الأمة الوسط هو هذا القرآن الكريم.

عندما يأتي أناس يحملون علماً، باسم علم، ويُحرِّفون كتاب الله كما حرَّف بنو إسرائيل كتبهم، ويُحرِّفون المعنى فيقولون: (لا، الوسطية: الاعتدال، الوسطية تعني ماذا؟ أسلوب لا يكون فيه شدة، ولا مهاجمة للآخرين، ولا استعداد لمواجهة الآخرين ولا، ولا، ولا...!) أليس هذا يُعتبَر سخافة؟ هذا يُعتبر كفراً بهذه النعمة العظيمة التي هي القرآن الكريم، التي تبني الأمة الوسط.

نقول بكل تأكيد: إن الأمة الوسط هي الأمة التي يبنيها القرآن، الأمة الوسط هي الأمة التي تبتني على أساس القرآن، وتتبنى المواقف التي يهدي إليها القرآن، هذه هي الأمة الوسط، ماذا يعني الوسط؟ أفضل أمة، أفضل أمة تكون ماذا؟ تكون مؤهلة لأن تقوم بهذا الدور: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾(البقرة:١٤٣) من الشهادة على الناس، أن يكونوا ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ وأن تكون ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: أنت مؤمن بالقضية التي أنت فيها، أنت تغضب لها، أنت منشدّ إليها، وهي قضية في حد ذاتها جذابة جداً.

لأن هذا شيء عجيب جداً لا يمكن أن يحظى أيُّ منهج آخر بهذه الحالة التي تبدو وكأنها مجموعة من المتناقضات أن يقول لهم: كونوا ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾(الفتح:٢٩) كونوا ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾(الإسراء:٥) ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾(الأنفال:١٢) في مسيرة دين هو للكل إلاّ لأن هذا الدِّين هو عظيم يجعل لهذه الظاهرة نفسها جاذبية لهذا الدِّين نفسه؛ لأنه عندما أرى هناك أمة قوية جداً، متماسكة جداً هي تشكّل أملاً عندي، ومنهجيتها صحيحة، إذاً أنا عندما أقارن بين وضعيتي ومجتمعي وبينهم سأرى هذه الأمة أنجذب إليها، أمة تشد الإنسان، أمة تقف مع الإنسان.

أحياناً قد تكون من الأشياء التي لا تجعل لأمة مُعيَّنة قيمة عندما ماذا؟ عندما لا تكون هي ذات فاعلية في مواجهة أطراف أخرى، حتى ولو كانت أمة مؤمنة أنها بهذه الطريقة وحدها تُفقد جاذبية الدِّين الذي تدين به، الطريقة التي هي عليها: (هؤلاء أناس لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً، لا يمثلون شدة ظهر في شيء، انظرْ كيف

هم ضعاف أمام أيِّ عدو آخر) عندما يظهر هؤلاء أقوياء، أشداء، أمة قوية: أي: يعتز أيُّ شخص ينتمي إليها، يشعر بعزة، يشعر برفعة، يشعر بقوة.

لهذا كانت هذه الخصلة نفسها التي يحاولون الآن - إضافة إلى أنها قد ضاعت في وسط الأمة ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾(الفتح:٢٩) أن يكونوا ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(المائدة:٥٤) قد ضاعت، ومع هذا يحاولون - أن يُقدِّموها كثقافة يدينون بها، أي: أن تعتقد أن الأمة الوسط هي هذه الأمة التي لا تمثل أيَّ شدة ولا قوة على أعداء الله، لم يكفِ انحراف عملي، وإنما يقدِّمون انحرافاً عقائدياً يدين الناس به، ويفهمونه بشكل خطأ، ويعتقدون أن هذا هو معنى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ هكذا ينتهي الضلال إلى أن يُقدَّم الانحراف العملي يحاط بماذا؟ بعقيدة أنه دين تدين به، هذا تحريف خطير جداً لآيات الله، تحريف في المعنى، في المضمون، في تقديمها بهذا الشكل السيئ!

نقول: نحن فعلاً ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ ونتمنى أن نكون أمة وسطاً، والأمة الوسط هي: التي تبتني على أساس القرآن، ومواقفها قرآن، هي الأمة التي قال الله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أنه يجعلها، وهذه طريقة من طرق أن يكون هناك أمة وسطاً، القرآن الكريم، وليس الوسط معناها بين شيئين، بين اليهودية والنصرانية، خليط، اعتدال، ليس يهودياً ولا نصرانياً، لديه ملعقة (يَهْوَدَة) وملعقة (نَصْرَنَة) وقليل (إسلام) فوقها: خَلْطة!

هذه قضية نركّز عليها في هذا الموضوع نقول: فعلاً نحن أمة وسط، لكن نعتقد أن الأمة الوسط: هي الأمة التي تنطلق على أساس القرآن، لا أحد يستطيع أن يقول لك: لا، يقول أبداً. الأمة الوسط أليست الأمة التي تسير على هدي القرآن، وتبتني على أساس القرآن؟ إذاً فلِنكون أمة وسطاً يجب أن نسير على هدي القرآن.

إذا أنت تُقدِّم لي شيئاً آخر هذه وسطية أخرى ليست هذه الوسطية التي قدَّمها القرآن، أنت تريد أمة تُكسَر من وسط ظهرها، حقيقة، وسطية يكسرونها من وسطها، لا تريد أمة وسطية على هذا المفهوم القرآني! فنحن نريد أن يكون الله هو الذي يجعلنا أمة وسطاً وليس أنت. القضية هي بهذا الشكل: أن نفهم جميعاً أن الأمة الوسط - إذا كنا نريد أن نكون أمة وسطاً - أن نكون على هذا النحو: أن يجعلنا الله هو وليس الآخرون الذين يجعلوننا أمة وسطاً، الذين يظهرون على شاشات التلفزيون، أو في كتابات مُعيَّنة، أو على المنابر؛ لأنهم يحاولون أن يجعلوا المسلمين أمة وسطاً بمعنى آخر: أمة منحطة، أمة لا يخاف منها عدو، ولا يهاب منها عدو، ولا تمثل حماية لأيِّ شيء، لا لدينها، ولا لمقدساتها، ولا لأوطانها، ولا لأعراضها، ولا لأنفسها.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾(البقرة:١٤٣) هذه سُنة إلهية، سُنة الابتلاءات على هذا النحو، وقد تكون الابتلاءات ليس معناها أن القضية شديدة في وطأتها عليك: أمراض خطيرة مثلاً، أو أشياء مؤلمة جداً، قد تكون عملية مُعيَّنة: تحوّل من هنا إلى هنا، فالنفوس المسلمة لله ستقول: أسلمت لرب العالمين كما قال إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(البقرة:١٣١).

﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ فيتبين من هو الذي يتبع الرسول، والرسول هو أول شخص، وأعظم شخص مسلِّم لله؛ ولذا تحول هو أن يصلي إلى المسجد الأقصى إلى (القدس) وهو الشخص الذي ترى فيه أعظم شخص يرى لهذا البيت ولهذا المسجد الحرام حرمته، وعظيم في نفسه، سلَّم لله، وتوجَّه إلى هناك.

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾(البقرة:١٤٤) قال الله توجَّه إلى الكعبة، هذا هو التسليم لله فمن يتبع الرسول يكون مسلماً لله، هل هناك أشخاص آخرون منهم هم أكثر انشداداً إلى موضوع المسجد الحرام؟ أبداً، رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو الشخص الذي مكانة البيت الحرام في نفسه أعظم من مكانته في نفس أيِّ شخص آخر.

﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾(البقرة:١٤٣) قد تبدو القضايا البسيطة كبيرة على الناس الذين ليسوا مسلِّمين لله، كبيرة، ليس لأنها من أصلها كبيرة، هي للمسلِّمين هنا قال: ﴿إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ هي ليست كبيرة على الذين هدى الله ومسلِّمين لله، بل عملية مقبولة تماماً، لا يُوجَد أيُّ حرج في النفس أمامها، الذين ليسوا مسلِّمين لله تكون كبيرة على أنفسهم، وهذه هي من الأشياء التي تجعل الإنسان الذي يسير على هدي الله ويسلِّم لله هي ماذا؟ حالة طمأنينة، مطمئن البال، والدِّين كله يسر أمامه، الأطراف الأخرى قد تصبح الأشياء كلها كبيرة: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(البقرة:٤٥) كما قال سابقاً.

﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾(البقرة:١٤٣) تجد الخاشعين ومن هدى الله لا يوجد أشياء كبيرة عليهم كلها ينطلقون فيها بتسليم أنفسهم لله، ليس هناك أيُّ حرج ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ عندما يقولون: كيف سنعمل بصلاتنا يوم كنا نصلي إلى القبلة السابقة؟ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾(البقرة:١٤٣) المؤمنون يكونون مسلّمين له لا يضيع شيئاً من أعمالهم الصالحة.

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾(البقرة:١٤٤)
إن الأساس الذي جعلهم يحاربون قدسية الكعبة إلى الآن - وهم قالوا: إنهم يقترحون أن تُضرَب بقنبلة نووية تنسفها تحوِّل مكانها إلى بحيرة - موقفهم من ماذا؟ من إسماعيل وذرية إسماعيل، ومحمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو من ذرية إسماعيل، فهم هنا كارهون، متبعون أهواء شيء مُعيَّن جعلهم يُقدِّمون الدِّين عصبية لأنفسهم حتى أصبحوا يُمجِّدون أنفسهم هم كذرية ليعقوب، وينسفون إسماعيل، وهو عمهم، نبي من أنبياء الله، ممن تعهد أسلافهم بأن يسيروا على ما كان عليه إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

وإلاّ فهذه القضية حق من حيث هي، أن الله سبحانه وتعالى هو مالك أمر الناس والذي له الأمر، له الحكم في عباده، وهذه تحصل في دينه، يشرِّع هذه، ثم يقول للناس اتجهوا كذا، ليست قضية غريبة في الدِّين، ليست قضية من حيث هي يقولون: باطلة؛ لأن عملية كهذه من حيث هي حق، باعتبار أن الله هو له ملك السموات والأرض، وهو الذي له الحكم والأمر في عباده.

لأنهم يعلمون أن إبراهيم هو الذي أقامها، وأنها قبلة لإبراهيم نفسه من البداية من قبل، هي القبلة الأساسية هي الكعبة فقط، هم الذين عملوا لهم قبلة أخرى على طريقة (حتى لو بنيت مسجداً فلن أصلي فيه) كرهوا إسماعيل وأبناء إسماعيل وكل ما يحيط بإسماعيل وأبنائه، وإسماعيل هو الشخص الذي هاجر به أبوه إلى مكة، وهو شريكه في بناء البيت لكن بنياه ليكون ماذا؟ قبلة، فهم الذين انحرفوا هم، مع أن في تراثهم في بقايا لديهم ما يعرفون بأن هذا هو حق.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ كل عملية الانصراف، عملية: ﴿مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾(البقرة:١٤٢) استنكار لهذه، تشنيع على المسلمين بهذه، قضية هي ناشئة عن أعمال سيئة لديهم، وأهواء ترسخت لديهم، وأعمال في حد ذاتها باطلة يؤاخَذون عليها، ليس الله بغافل عنها.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾(البقرة:١٤٥) يتجلى في الموضوع هنا فيما هو كمنهج للناس وتربية، أن يكون عند الناس تسليم لله مهما قال الآخرون، مهما كان لديهم من احتمالات: أنه سيحصل أشياء كبيرة عليهم من آخرين. التسليم لله، السير على هديه، وليكن ما كان، هناك قال سابقاً: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾(البقرة:١٣٧) أليس هنا موقف؟ هنا يُوجِّه بالتوجيه إلى المسجد الحرام ويقول فيها في الأخير: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾(البقرة:١٥٠).

لأن مجموع هذه الآيات هنا ترسِّخ مسألة التسليم لله، لا تعطي أيَّ احتمالات أخرى قيمة بالشكل الذي يجعلك تؤقلم مسيرتك من أجلها، يكون لديك فكرة التسليم لله، وأيُّ احتمالات أخرى الله سيكفيكها؛ لأن هذه الحالة هي التي تجعل كثيراً من الناس - كونه يخشى نوعاً مُعيَّناً، يخشى حملات دعائية مُعيَّنة، يخاف من سجن، يخاف من اعتداءات، يخاف أشياء كذا - يحاول أن يؤقلم مسيرته وإذا هو قد أصبح يُقسِّم الدِّين، يجامل هذا، ويجامل ذلك، يرضي هذا، ويرضي هذا! وضاع، يضيع تسليمه لله، ويضيع في الأخير دين الله؛ لأنه في الأخير هل رأيت لدى بني إسرائيل شيئاً من دين الله؟ ضيعوه، وأصبح مجموع ما لديهم في غالبه: مجموع أهواء وضلالات.

تجد في تاريخهم هم تعرَّضوا لحالات من هذه، لم ينطلقوا على ماذا؟ أن يكونوا مستقيمين في مسألة التسليم لله ومتمسكين بهذه القضية: التسليم لله، والسير على هديه مهما كان الثمن، عندما كان يحكمهم أناس من الرومان كان ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(المائدة:٨٠) وإذا قد صار هناك بيع وشراء في الدِّين: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾(التوبة:٩) معناه فقدوا التسليم الذي هو قضية أساسية، فأصبحوا في الأخير يقسِّمون الدِّين، يُرضون هذا، ويوزعون لهذا، ويبيعون من هذا؛ إلى أن ضاع في أوساطهم، والبديل هو ماذا؟ ضلالات وخسارة، في الأخير خسارة كبيرة، خسارة في الدنيا وخسارة في الآخرة.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ أبداً على ما هم عليه ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾(البقرة:١٤٥) يقول: (إذاً الأحسن كذا، من أجل أن تكون كذا يمكن ربما يقتربون قليلاً ويلينون قليلاً، نتفق نحن وإياهم، وعناوين من هذه!) في المقابل عندما لا تلتزم أنت على هذه الوجهة التي رُسِمت لك، أن تتجه إلى هذه القبلة على الرغم من أن أهل الكتاب لهم موقف حدي من قضية هذه القبلة إلى درجة أنك لو أتيتهم بكل آية ما تبعوك في أن يتوجهوا إلى هذه القبلة، ألم تبرز المسألة هناك

وكأنه: إذاً دخلنا في موضوع يجعلنا أكثر بُعداً منهم؟ فكرة الناس الذين لديهم فكرة (لفلفة) ومحاولة تألف، وأشياء من هذه، فيعتبر (إذاً هذه تتنافى مع ما ينبغي أن نحرص عليه من أن نكون قريبين ونكون...) هذه المسألة أبعدتنا كثيراً؛ لأنه وجَّه إلى قبلة، أهل الكتاب لو جئتهم بكل آية ما تبعوك، ألم يظهر التوجه إلى هذه القبلة يشكّل بُعداً كبيراً؟ هذه ليست مشكلة، لا تعتبرها مشكلة أبداً، ولو حاولت أن تنصرف عن هذه من أجل أن تحاول: أن تكون كلمتنا واحدة نحن وإياهم ونتألفهم ستكون قد اتبعت أهواءهم، وستكون إذاً من الظالمين، ستخسر مثلما قال سابقاً: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾(البقرة:١٢٠).

هذه القضية هي تعود إلى مسألة: التسليم، وهي القضية الهامة جداً التي يحتاج إليها كل إنسان، ولا تقوم المواقف القوية إلاّ بتسليم، ولا يفلح الناس إلاّ بالتسليم لله. إذا ما عرفوا إلاّ وقد طغى عليهم روحية التأقلم، التنازلات، روحية استرضاء الآخرين، فإنهم في الأخير يذوبون، ويتلاشون، ويخسرون.

هذه القضية تقوم على أساس الإيمان بالله سبحانه وتعالى أنه هو ملك الناس، مدبِّر شؤون هذا الكون. لو تعتقد بأنه يمكن أن تمشي معهم بالشكل الذي يجعلك قريباً منهم، استرضاء لهم، وعلى أساس أن تجذبهم إلى هذا الدِّين، وليس في ذهنك أنه ما الذي يمكن أن يحصل من محذور، الله يمكن أن يعمل شيئاً يجعلك خاسراً مثلما قال هناك: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ أي: لا يظن أحد بأنه إذاً سيقع في مشكلة كبيرة جداً، افهم بأن الله هو مدبِّر شؤون السموات والأرض يمكن أن يكفيك الاحتمالات التي تراها كبيرة ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾(البقرة:١٣٧) أو ترى بأنه عندما تتأقلم معهم من أجل أن تسلَم هذه الإشكاليات، وترى بأنك تحاول أن تسلَمها، لن تسلَم منها ستأتي عليك بأسلوب آخر، أو من أبواب أخرى، وتكون بالشكل الذي لا تجد ولياً ولا نصيراً تُضرَب. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ عندما ينسى الإنسان مسألة: التسليم لله، وقضية التسليم لله هي تكون في موضوع الحركة، في موضوع المنهجية، موضوع الدعوة، منهجية الدعوة، منهجية الحركة، في المواقف العملية، ستقدَّم تنازلات في موضوع المنهج، تكون في الأخير مقابل اتباع أهواء، والنتيجة ماذا؟ خسارة.

إذاً هذه هي ظاهرة قائمة عند الناس فعلاً تجد بعضهم عندما يأتي يتبنى مدرسة علمية، أو يتبنى إرشاداً لكن ويحاول أن يؤقلم الإرشاد بالشكل الذي لا يثير آخرين، يحاول أن يجعل مدرسته بالشكل الذي على أساسه يزعم أنه محافظ على الدِّين، ومحافظ على الإرشاد، ومحافظ على التعليم، وعلى المذهب، يحاول ألاّ ينطلق من مركزه، أو من مدرسته شعار - مثلاً - [**الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام**]قد يؤدي إلى أن الآخرين يستثارون وفي الأخير ربما يغلقونه مثلاً، أو ربما قد يؤدي إلى أنهم يتركون مساعدتنا، أو أحتاج إلى أن أتشرد من هنا، ويضيع هؤلاء الطلاب! هذه تُعتبَر نظرات قاصرة، وضيِّقة، وعاقبتها تكون خسارة دائماً، أي: أن هذه الحالة قائمة؛ لهذا قلنا: التركيز على موضوع التسليم، وكلما وجدت أمامك من احتمالات تبدو صعبة فتذكّر بأنك لست من ستحمل هذه الجبال، أو ستحمل المشاق الكبيرة؛ لأن الله هو المدبِّر لشؤون السموات والأرض هو الذي يعمل المتغيرات.

إلى هنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جماد الآخر ١٤٤٢هـ
الموافق: ١٠/ ٢/ ٢٠٢١م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠م
{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}	الوحدة الإيمانية	{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى}	{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ}
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٥ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٢ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ